16 em Année No. 772 | Lundi — 19 — 4 — 1948

# الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Littéraire Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة
مـ
١٠٠ في مصر والسودان
١٥٠ في سائر الممالك الأخرى
ثمن العدد ٢٠ مليما

الإعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العـــدد «٧٧٢» القاهرة في يوم الاثنين ١٠ جمادى الآخرة سنة ١٣٦٧ — ١٩ أبريل سنة ١٩٤٨» السنة السادسة عشرة

من أقاصيص الجواري في عهد الرشيد :

## بهـــيرة

[مهداة إلى صاحب المعالي إبراهيم دسوقي أباظة باشا]

— ١ —

— ما أجمل هذا الصوت ! من أين مصدره ؟

— من صوب النهر يا مولاي

— إن حلاوته وإيقاعه لينبئان عن ظرف بارع وصبّي نضر

— لعلها قينةٌ في زورق من زوارق المخنثين[1] تبرف على لموهم الماجن بالغناء والحسن كالعادة

— مل بنا إلى الشاطئ عسى أن نرى مصداق ما نسمع

وكان الرجل الذي سأل وأمر طويلاً بدين الجسم أشقر اللحية على وجهه جلالة السلطان ومهابة الملك ؛ أما رفيقه الذي أجاب وأطاع فكان مساوياً له في العمر ، ولكنه كان ربعة القوام ، رقيق البدن ، أزهر اللون ، تتوسم الظرف من ملامحه ، وتتبين الذكاء من ألفاظه . وكانا يلبسان ملابس التجار ويمشيان مشية المستطلع بين القصور الناعمة القائمة على دجلة من كرخ بغداد في أصيل يوم من أيام أبريل . وعلى ثلاث خطوات منهما كان يسير رجل وثيق التركيب عظيم البسطة يلحظ لحظات الصقر ورعاها بعين النَّمِر . وكانت دار السلام يومئذ في أيام العروس[1] من عهد الرشيد ، قد تجمعت فيها الدنيا ببهجتها وزينتها ، وفتنتها وثروتها ، فهي أشمة من الجمال والسحر ، وظلال من الرخاء والبِشر ، ونسمات من الرَّوح والعطر ، وأخيلة من الحب والشِّعر ، ومُتَع من نعيم التمدن الإسلامي القائم على لذة الروح والجسم ، وسعادة الدين والدنيا ، وراحة النفس والناس

***

اتجه الرجلان وتابعهما الصامت نحو الصوت فجرهما إلى بستان مشرف على النهر قد جلست على عريش من عرائشه الكاسية بأشتات الرياحين والزهر جارية في وفرة الجمال وزهرة العمر ترسل هذا اللحن الغزلي الشجي الضارع كأنها تهدهد به حباً لا يهجع ، وتناجي به حبيباً لا يسمع !

فدار بين أعظم الرجلين وبينها هذا الحوار الرقيق :

— لعلك تودين أن يكون لهذا الغناء الساحر سامع !

— لو كنت أوده لما عز عليّ أن أجده

— وهل خلق الله مثل هـذا الصوت ليتبدد في الهواء ويضيع في هذه الخلوة ؟

— سل البلبل حين يبعث الشدو : هل يريد أن يبعثه إلى أذنك ؟ وسل الشمس حين ترسل الضوء : هل تريد أن ترسله إلى عينك ؟ وسل الزهرة حين تبث العطر : هل تريد أن تبثه لأنفك ؟

— تبارك الله ! براعة في الغناء وبراعة في الذكاء وبراعة في الحسن ! ماذا تسمين ؟

(١) كان يطلق هذا الاسم في بغداد على أهل الترف واللهو والفتوة ممن يشبهون ( أولاد الذوات ) اليوم

(١) كان الناس يسمون عهد الرشيد لرخائه وجماله أيام العروس

— بهيرة

— ولمن تكونين ؟

— لسيدى على بن وهب

قالت ذلك بهيرة ثم حيت الرجل وصاحبيه وانطلقت بين أشجار البستان كأنها عروس من عرائس المروج ازدهاها الربيع فطفرت من المرح راكضة راقصة

— لقد وقعت بقلبي هذه الجارية يا جعفر !

— إذا شاء أمير المؤمنين كانت فى ملكه من الغد

— ٢ —

وفى غد ذلك اليوم انتقلت بهيرة بالشراء إلى قصر الرشيد بالرصافة ، وكان يموج بالحور والولدان موّجانَ الفردوس ، حتى بلغ ما فيه من السرارى والقيان زهاء ألفى جارية من الروميات والكرجيات والجركسيات والعربيات والحبشيات ، يرفان فى الأفواف الوشاة بالذهب ، والعصائب المرصعة بالدر ، والمناطق المنسوجة من المسجد ؛ ويخطرن بين دوائر الحرم موائس من الدلال ، نشاوى من الحسن ، ينفحن بالفتون والحب كما تنفح الزهور العاشقة بالعطور المغرية فى ميعة الربيع ...

أحلها مسرور الخصى مقصورتها الأنيقة بين مقاصير سحر وضياء وخنث (١) وأفاض عليها من الوشى والزينة والحلى ما جعلها قطعة من الفن الجالى الخيالى لا تبلغها قريحة شاعر ولا عبقرية مصور . وانغمرت بهيرة فى فيض الجمال والنور والترف واللذة ؛ ولكن هذا القصر الذى لا ثانى له فى دنيا الناس لم يستطع بما فيه من النعيم الدافق والسرور المتصل واللهو المختلف والأشجار المحمولة من كل أرض ، والأطيار المجلوبة من كل سماء ، والأواوين المنجدة بالديباج والإبريسم ، والبرك المزدانة بالتماثيل والدُّمى ، والسلطان الذى خضع له الدنيا ، والجلال الذى اعتز به الدين ؛ لم يستطع بكل أولئك أن يمسح عن وجه بهيرة هذه الكآبة الناشية ولا هذا السهوم الملحّ ، فقد كانت أشبه بالوردة المقطوفة على اللذة الغارقة فى السرور الطافحة باللذة : تذوى وتموت وكل ما حوالها يزدهى وينتعش . فهل كان قصر الخليفة أضيق من قصر التاجر ؟ أم كانت سيادة ابن وهب أندى على قلب بهيرة من سيادة الرشيد ؟ واقع الأمر أن هذه الحال لم تطرأ على بهيرة فى عيشها الجديد ، وإنما كانت تلازمها وهى فى ملك ابن وهب ، وقد تذرع الرجل بالطب والحيلة والمال، إلى أن يرفه عن جاريته المحبوبة فما كانت تزداد على عنايته بها ورعايته لها إلا همًّا على هم ؛ حتى استراب فى حبها إياه فحاول أن يصل إلى سرها ويعرف متجه هواها فما استطاع . فلما ساومه النخاس عليها بالثمن الربيح نزل عنها غير آسٍ ولا آسف

كانت بهيرة قبل عامين قد وهبت قلبها الخالى المنتظر لفتى من سراة بغداد الظرفاء فشغله كله وتغلغل فيه تغلغل السر ، وشاع به شيوع السرور . ثم تقلبت عليهما الأيام والأحداث وهما نملان من رحيق الحب ، وادعان فى ظل الأمان ، حتى نزل بالفتى ماينزل بالمترفين المتبطلين من كساد الحال وهجوم الفاقة ، فباع كل ما يملك ، ثم عاش على الأمانى فترة من الدهر ؛ ورأى آخر الأمر أن من الإخلاص لحبيبته ألا يحمّلها وزر إسرافه وعواقب طيشه ، فباعها على الرغم من تشبثها به وإيثارها إياه من على ابن وهب

ودأب يزورها يوماً بعد يوم وهى فى قصر ابن وهب ، من وراء الحديقة ، ومن خلال السور ، وهى تنتظره فى العريش الذى رآها فيه الخليفة يوم تنكُّره ، فيتساقيان كؤوس الهوى ، ويتناقلان حديث المنى ، ويتشاكيان حرقة الوجد ، وينظران نظرات الأسى المرير إلى دجلة والشبابُ الأحباب يشرقون على وجهه إشراق البسمة العذبة على ثغر السعيد ، فيذكران كيف كان هذا النهر الخالد مسرحاً لصباهما اللاهى ، وشاهداً على حبهما الخالص ؛ وكيف نظر إليهما الدهر الخؤون فتقوض الربع الآهل ، وتفرق الشمل الجميع ، وآل الأمر بهما إلى أن يكون بين قلبيهما غاذل لا يُتنقل ، وبين جسميهما حاجز لا يُقتحم !

كانت بهيرة وهى فى قصر ابن وهب تستطيع أن ترى سليمان وأن تتحدث إليه وأن تترك للأقدار الرحيمة إسعاف حبيبها اليائس بالثروة المرجوة فيستردها إلى ملكه ؛ ولكنها انتقلت الآن من عش الحمام إلى غيل الأسد ! فمن ذا الذى يستطيع الدنو من قصر الخلافة ؟ لقد ضرب الدهر بينها وبين

(١) من الحظايا الثلاث اللاتى استأثرن بهوى الرشيد حتى قال فيهن :

إن سحراً وضياء وخنث من سحر وضياء وخنث
أخذت سحر ولا ذنب لها ثلثى قلبي وترباها الثلث

حبيبها إلى الأبد؟ فلا هو يستطيع الدخول إليها ولا هي تستطيع الخروج إليه؛ فكأنه مات من دنياها وماتت من دنياه. وبيت الخلافة لأمثالها قصر في الأول وقبر في الآخر!

— ٣ —

على أن الهوى كالسكر لا يعرف المحال ولا يحس الخوف ولا يبصر العاقبة. فقد احتال سليمان حتى ظفر بثياب خادم من خدام جعفر بن يحيى. فكان يدخل قصر الرشيد في هذا الزى فلا يرتاب فيه الحراس ولا ينكره الخدم. وعرف مقصورة بهيرة فكان يتسلل إليها في الظلام أو في الغفلة، فيقضي معها ساعة من النهار أو هزيعاً من الليل ينضحان فيه غرامهما المسعور بالحديث المعسول والقُبَل الندية

وفي ذات ليلة طغى عليهما الحب وعصفت برأسيهما الصبابة فتولدت فيهما ناشئة من الأمل والعزم. قال سليمان وهو يثبت نظره المتوقد في نظر بهيرة الساجي:

— لقد أعددت عدة الخلاص ومهدت لك سبيل الهرب

— وماذا أعددت يا سليمان؟

أعددت لك هذا الثوب الغلامي فالبسيه واخرجي تحت الليل حين تخشع الأصوات وتهجع العيون ولا يدخل ولا يخرج إلا رسل الأسرار بين قصور السادة والقادة. وسأكون في انتظارك لدى مشرع القصب من دجلة

فقالت بهيرة ودمعها الساجم يتقاطر على خديها تقاطر الطل:

— أنسيت يا سليمان أني ملك الخليفة فلا أخرج منه إلا بالبيع أو بالعتق!

— لم أنس يا بهيرة، ولكن الخلاص بغير ذلك محال

— وكيف يصفو لنا العيش يا سليمان وهو شقاء متصل بمعصية الله وخيانة الخليفة؟

— ويك يا بهيرة أخفتي هذا الصوت في نفسك، وفكري قليلاً في بؤسي وبؤسك. ليس لي غيرك وليس لك غيري؛ أما الخليفة فله ألفا جارية، وله أضعافهن إذا شاء. والله يا بهيرة يغفر الذنوب جميعاً

— ألا تظن يا سليمان أن العذاب في الحب عذب، وأن الموت في سبيله شهادة، وأن هذه الساعة التي نلتقي فيها على غفلة من الرقيب بين الخوف والأمن، وبين اليأس والرجاء، أدنى إلى الحب الصحيح والسعادة الحق من العيش الغرير الناعم على مهاد الرذيلة؟

— إن العشاق يا بهيرة لا يعيشون بعقول الخليين ولا يخضعون لقوانين المجتمع

واستسلما لسلطان الدمع والكلام فأوشك أن يحمل بهيرة على رأيه لولا أن قرع باب المقصورة قارع عنيف، فاستطير قلب العاشقين من الرعب، وأيقنا بالهلاك المحتم

وفتح الباب ودخل مسرور قهرمان القصر وسيد الموالي وحاجب الرشيد، ومعه نفر من الحراس، فأمر بالقبض على سليمان، وكان قد سمع بآذان جواسيسه ما دار من الحديث بينه وبين بهيرة

— ٤ —

سِيق العاشقان إلى مجلس الخليفة الخاص متهمين بانتهاك حرَم الخلافة، والمؤامرة على الفرار، والخلوة الأثيمة. فسألهما عن جلية الخبر فأجاباه بصحته. واستفهم الشهود عن تفصيل الحديث فأدلوا به على نصه. وكان الخليفة مفتوناً ببهيرة لما جرّب عليها من الوفاء والذكاء والصدق فعفا عنها، ودفع بسليمان إلى مسرور ينفذ فيه حكمه

فتقبل العاشق المنكود الحكم عليه قبول من راض نفسه على التسليم بالقضاء المحتوم والأمر الواقع. وذهب به الموالي إلى لقاء الموت، ولبثت بهيرة في حضرة الخليفة شاخصة لا تطرف، واجمة لا تنطق، كأنما أخرجها الجمود عن الحياة، وفصلها الذهول عن الوعي. ثم رأرأت بعينيها في سكون، وحركت لسانها ببطء، وألقت بنفسها على قدمي الخليفة وهي تقول:

مولاي: إني أعلم أن الجريمة إذا مست الشرف ضاق بها العفو وقصُرت عنها الشفاعة؛ ولكني أعلم كذلك أن حلمك لا يستخفه غضب، وعفوك لا يتعاظمه ذنب. فهب لي دم سليمان فقد جنى عليه حبي، وسعى إلى عدمه وجودي. وهو يا مولاي صادق النية سري الخلق بريء الساحة

فقال لها الخليفة: إن هذه الجريمة تُنسي بوجهها الوقاح صورة الرحمة. فاسأليني ما شئت إلا العفو، فإني لا أمنح إلا ما أملك

فقالت بهيرة : إذن تعدنى يا مولاى ألا يُقتل حتى أراه .

فقال لها الخليفة : لك هذا الوعد .

وأرسل وراء الجلاد يأمره أن يرد عليه سليمان قبل أن يمضى قضاءه فيه .

فلما خرج الرسول أدارت بهيرة بصرها فى السماء والفضاء والطبيعة ، ثم أرجعته وهو يفيض بالدمع والأسى ، ورددته فى نواحى البستان ، وفى جوانب المكان ، وفى مرايا الجدران ، وفى حلتها الذهبية ، وفى حليتها اللؤلؤية ، وفى وجه الخليفة ؛ ثم أدخلت إصبعيها فى محجريها فاقتلعت بهما عينيها

فصاح بها الخليفة وقد أفزعه ما رأى :

— ويحك ما ذا صنعت بنفسك ؟

— فديت بعينىّ حبيبى يا مولاى !

— وكيف ذلك يا حمقاء ؟

— ألست وعدتنى يا مولاى ألا يُقتل حتى أراه ؟ فالآن لا أراه ولا يُقتل !

كان أثر هذا الحادث بالغاً فى نفس الخليفة ، فبسط على العاشقين جناح رحمته ، ومهد لهما الحياة السعيدة فى ظلال نعمته . وقنعت الغادية العمياء من دنياها بالعيش على نور الحب وفى كنف الحبيب !

احمد حسن الزيات

---

# المقاصـــــد الصهيونية

للأستاذ نقولا الحداد

ورد لى كتاب على يد مجلة « الرسالة » بإمضاء حسن ( وبس ) ، وليس فيه عنوان مرسله سوى أنه من المنصورة . ويقول كاتبه إنه مسلم ، وإنه طالب فى مدرسة الملك الكامل . والله أعلم . ويقول إن سنّه ١٦ سنة ، ولكن عظته لى عظة ٣٦ سنة متواضعة لطيفة رقيقة. وفحواها أنه « لافرق بين اليهودى والمسيحى والمسلم » ، وهو يتمنى تحقيق ذلك الحلم السعيد الذى نرى فيه الشعوب جميعاً شعباً واحداً ، وأن اليهود ما هم إلا آدميون مثلنا . فلا يجوز أن نأخذهم بجريرة أجدادهم . إلى غير ذلك من الأمانى التى يتمناها كل واحد من الناس .

مرحى يا بنىّ ! أشكر لك عظيم الشكر حسن ظنك بى ، وعطفك الخالص على اليهود ، واعترافك لهم بأنهم بشر مثلنا . وكان يحسن بك أن تبعث بهذه العظة إلى السيد جمال الحسينى الذى ذهب إلى لايك سكسس لكى يناقش هيئة الأمم فى مسألة صهيونى فلسطين لا يهودها ؛ لأنه يعتقد أن يهود فلسطين القدماء هم بشر مثلنا عاشوا فى البلاد آمنين مسترزقين ، ولكنه يرى أن صهيونى فلسطين الوافدين عليها من مشرديهم فى أوروبا لكى يمتلكوها أرضاً وشعباً ودولة ؛ هؤلاء ليسوا بشراً بل أبالسة .

نحن لا نكره اليهود ، ولكنهم هم يكرهوننا ، ويلقبوننا بالجوييم البهائم ، وكلمة الجوييم هذه تطلق عندهم على كل من ليس يهودياً ، وقد عاشوا بين الجوييم فى فلسطين وغيرها قروناً وأبواب الرزق مفتوحة على مصاريعها ، والقلوب مفتوحة لحبّهم وإكرامهم ؛ لأن مسيحنا قال : (أحبوا أعداءكم) فكيف بالأصدقاء ؟ وقد تبرع لهم مسيحيو أمريكا باثنين وسبعين مليونا من الريالات ليستعين بها المتشردون فى أوربا ، فإذا بهم ينفقونها فى فلسطين لمكايدة العرب ! وفى قرآنكم الكريم : « ولا تستوى الحسنة ولا السيئة ، ادفع بالتى هى أحسن ، فإذا الذى بينك وبينه عداوة كأنه ولىٌّ حميم » ؛ وأما هم فيقولون إنه يحل لهم كل ما يملك الجوييم ، يعنون النصارى والمسلمين والوثنيين على السواء من عهد موسى عليه السلام إلى اليوم والغد . وسلوكهم اليوم ناطق بهذه النيات الأنانية ومطابق لمنهاج استنوه لأنفسهم يعادون به الأمم ، ويهيئون أنفسهم لدولة عليا تسود الدول جمعاء وتستعبد الشعوب .

نحن لا ندين اليهود بما قاله موسى ؛ بل ندين الصهيونيين بما قاله حكماؤهم فى مواثيقهم ، أى البروتوكولات التى سننشر ما نقتطفه منها تباعاً مما يدل على ما يبيتونه للجوييم أمثالى وأمثالك وما تنطبق عليه أعمالهم أمس واليوم والغد .

نحن لا ندين اليهود الذين قاموا بين ظهرانينا وكانوا فى أمن وطمأنينة ، وإنما ندين الصهيونيين الذين جاءوا من وراء البحار ينفذون مواثيق حاخاماتهم الكبار فى سبيل إنشاء دولة صهيونية تسود العالم كله وتصبح جميع الدول تابعة لها ، وجميع الأمم عبيدها ، ويهود العالم كله أسياد الشعوب .

نحن لا نفتئت على اليهود وإنما ندل الجوييم مسلمين ومسيحيين على مقاصد الصهيونيين لكى يحذروا مكايدهم .

واسمع الآن ما قالته مواثيقهم (بروتوكولاتهم) بشأن دولتهم قال الميثاق ( البروتوكول ) الثالث البند ٦ :

إن النـاس الذين هم تحت قيادتنا قد محقوا الأرستقراطية ( سلطة الأعيان ) الذين كانوا قوة الدفاع الوحيدة عن مصالحهم المرتبطة بهناء الشعب . فبإبادة الأرستقراطية يقع الشعب فى قبضة اللئام من ناهبى الذهب الذين لا رحمة عندهم والذين وضعوا نير الظلم ثقيلا على أعناق العمال » ( غير اليهود ) .

البند ٧ :

« وأما نحن فنظهر على المسرح بمثل المنقذين للعامل من هذا الظلم . ومن ثم نقترح عليه أن يدخل فى منظماتنا المحاربة — الاشتراكية والفوضوية والشيوعية التى نعضدها دائماً بواسطة الأخوية المزعومة المفروض أنها رباط الإنسانية ، وهى الماسونية الاجتماعية ( أى الماسونية العمومية غير الماسونية اليهودية السرية التى تختفى عن الماسونيين على العموم ) . والأرستقراطية التى بحكم الشريعة تمتعت بتعب العمال تغتبط برؤية هؤلاء العاملين يتغذون شابعين وصحتهم جيدة وأجسامهم قوية . وأما نحن فيسرنا العكس ، وإنقاص عدد هؤلاء الجوييم حتى قتلهم . إن قوتنا فى إنقاص الغذاء الذى أضحى داء مزمناً ، وفى ضعف العامل وسقمه البدنى ؛ لأن هذين الأمرين يتضمنان عبودية العامل لإرادتنا وإنه لا يجد فى حكومته أو سادته قوة لمناهضتنا .

الجوع يخلق حق الرأسمال بالتحكم فى العامل أكثر مما أعطت سلطة الملوك الشرعية من الحقوق الارستقراطية » .

ترى مما تقدم أنهم بدعوى العطف على العمال ( وهم يعدون بالعمال كل مسترزق ) يستخدمونهم لأغراضهم التى لا يفطن لها العمال على يد ماسونييهم .

وقد رأيت أيضاً أن الاشتراكية والفوضوية والشيوعية هى من مخترعاتهم ، كما ترى فى البنـد الثانى من الميثاق الرابع سر قوتهم غير المنظورة :

« من وماذا يستطيع أن يقاوم قوة غير منظورة كقوتنا ؟ فالماسونية العمومية التى ينتظم فيها الأمم (الجوييم) وهم كالعميان لا يرون ما أمامهم وما وراءهم ؛ إنما هى حجاب يحجبنا ويحجب أغراضنا . وأما منهاج عمل قواتنا فيبقى للعالم سراً مجهولا » .

ومما جاء فى البند ٣ بعد الكلام عن الإيمان بالله من غير وعى ولا وجدان .

« ... بهذا الإيمان يُحكم الناس بحراسة أبرشية الكنيسة . ونسير نحن برضى وتواضع تحت قيادة الراعى الروحى خاضعين لتدبيرات الله على الأرض . هذا هو سبب أننا لا بد لنا أن ننقب تحت أساس كل إيمان لكى ننتزع من عقول الجوييم مبدأ الألوهية والروح ونضع مكانه الحسابات الرياضية والحاجات المادية »

وفى البند ٤ يقول « ... ولكى تشقى الحرية جماعات الجوييم وتدمرها يجب أن نجعل الصناعة على أساس المضاربات فتكون النتيجة إن ما يُستغل عن الأرض بالصناعة تتداوله الأيدى إلى أن يتسرب إلى أيدى جماعاتنا عن طريق المضاربات » .

يعنى أن الجوييم يشتغلون فى الأرض وتتسرب غلاتهم إلى أيدى الماليين بفعل المضاربات . ومن هم الماليون ؟ ؟

وبعد أن يتكلم الميثاق الخامس عن السيطرة الإدارية يقول فى آخر البند الأول ... « هذه القوانين تقتل الحريات والتسامح مما يتساهل به الجوييم فتمتاز مملكتنا بالاستبداد النسبى بحيث يمكن أن نمحق أى جوييم يجرأ أن يقاومنا بالفعل أو بالقول » .

وفى البند ٦ : « قيل فى الأنبياء إننا نحن الذين اختارنا الله نفسه لكى نحكم كل أرض ، وقد منحنا الله النبوغ لكى نستطيع أن نقوم بعملنا . فإذا كان فى معسكر معاد لمعسكرنا نبوغ يجاهد ضدنا . فالضد الجديد لا يقدر أن يقاوم القديم المستقر؛ فالعداء بيننا يكون مهلكا ، والحرب تكون بلاهوادة ولا رحمة . حرباً لم يشهد العالم مثلها ... وإنما يكون نبوغ المعسكر الآخر قد جاء متأخراً فلا نخشاه ... إن جميع عجلات « المكنة » الحكومية تسير بقوة الآلة المحركة . وهذه الآلة فى يدنا — الذهب إن علم الاقتصاد السياسى الذى استنبطه شيوخنا الحكماء منح الامتياز الملكى لرأس المال — وهو فى أيدينا » .

فنرى فى هذا البند أنهم يعتقدون اعتقاداً قلبياً أن الله اختارهم وحدهم شعباً له ، ومنحهم السلطة المطلقة على كل الأرض . فكيف نستطيع أن نعيش مع شعب يعتقد هذا الاعتقاد فى نفسه

ويعتقد أن الشعوب الأخرى بهائم لا حقوق لها ولا حياة .

فى البند العاشر من نفس الميثاق الخامس نرى حيلتهم الشيطانية فى القبض على زمام الرأى العام ، وهو كما لا يخفى أقوى قوة اجتماعية وهو يقول : « لكى نقبض على الرأى العام يجب أن نضع الجمهور فى موضع الحيرة والارتباك بأن نبذر فيه آراء متناقضة فى كل ناحية مدة طويلة حتى تتضعضع عقول الجوييم وتتيه فى معارج الضلال إلى أن يروا أن الأفضل ألا يكوّنوا لأنفسهم رأياً سياسياً . ولا يستقروا على رأى فى أية سياسة يفهمها الجمهور ، بل لا يفهمها إلا القادة الذين يقودون الشعوب ويرون أنفسهم متناقضين فيها . هذا هو السر الأول فى قيادة الشعوب فى بيداء الجهل » .

فى البند ١١ « السر الثانى المطلوب لنجاح حكومتنا يشتمل على ما يأتى : الإكثار من الجمعيات الأهلية ، وانتشار العادات السيئة ، وتعقد ظروف الحياة الدنية بحيث يستحيل على أى واحد أن يُعرف أين هو من الصواب فى هذه الفوضى حتى يصبح الواحد منهم لا يفهم الآخر . هذه الحالة المربكة تخدمنا فى ناحية أخرى ، تزرع الشقاق فى جميع الهيئات والأحزاب ، وتبدد القوى المتجمعة من مواضعها ، وتثبت تخضع القوى التى لا تزال ممتنعة عن الخضوع لنا ، وتثبط عزيمة أى شخص فى مقدرته أن يعرقل مساعينا . لا شىء أخطر لنا من الأشخاص المفكرين المبتكرين العباقرة . فإذا كان وراء أى مشروع نابغة من النوابغ يستطيع أن يخرب أو يعمر أكثر مما يستطيعه ملايين من الناس الذين زرعنا بينهم الشقاق . لذلك يجب أن نوجه ثقافة الجوييم بحيث أنهم إذا وقعوا على أمر يحتاج إلى ابتكار أو تفكير يسقط فى أيديهم ويرتدوا مخفقين ... إن المجهود الذى ينتج من حرية العمل يستنفد القوى إذا اصطدم بحرية أخرى . وبهذا الاصطدام تنشأ صدمة أدبية خطيرة تفضى إلى الإخفاق . بهذه الوسائل يمكننا أن نحبط قوى الجوييم حتى يضطروا إلى تقديم قوة دولية لأجل أمن العالم فتبتلع تدريجياً جميع قوات دول العالم من غير عناء وتؤلف حكومة عليا تسيطر على العالم ، وإذ نكون نحن اليد العاملة فيها بتمهيداتنا السابقة نقيم مكان حكام اليوم إدارة حكومتنا العليا ونسيطر على العالم . هذه الإدارة العليا تمتد أيديها إلى جميع الجهات وتقبض على أزمة جميع السلطات وحينئذ تعجز أية قوة من الجوييم أن تقف فى سبيلها » .

هكذا قد وضع حكماء الصهيونية برنامج مساعيهم إلى اعتلاء عرش السلطة العالمية العليا . وجميع حركات الصهيونيين الآن وقبل الآن تدل على أنهم نشطون فى هذا السبيل ، وأن الهدف لم يعد بعيداً عنهم كثيراً . فهاهم يشتغلون فى صهيون فلسطين ، وروسيا تعضدهم من وراء الستار . فإذا لم يصد العالم كله الصهيونية والشيوعية جميعاً فقد يصيبون الهدف ويكون ذلك بفضل بلاهة بعض الساسة مثل ترومان وأمثاله .

ترقب يا عزيزنا حسن المقال القادم عن برنامج الصهيونيين فى ميدان العمل ورأس المال . وثم لا تعود تلومنى إذا فتحت عينيك وأمثالك لمكايد الصهيونيين .

نقولا الحداد

# لا، لا عِلّة تحريم تعدد الزوجات

للأستاذ إبراهيم زكى الدين بدوى

لم أكد ألمح بين مواد فهرس الرسالة الصادرة فى ٥ إبريل الجارى هذا العنوان « نعم علة تحريم تعدد الزوجات » حتى ساءلت نفسى : ترى من هذا الذى تطوع للدفاع عن قضية بينة الخسران ؟ وما إن رأيت العنوان مقرونا باسم صديقنا فضيلة الأستاذ الشيخ عبد المتعال الصعيدى حتى زاد إشفاقى على الدافع وخشيت عليه مغبة الأمر .

لكن سرعان ما تبددت مخاوفى حين طالعت المقال فوضح لى أن العنوان لا يترجم له . ويخيل إلى أن الأستاذ قد أغرى بمعارضة عنوان مقالاتنا المنشورة بمجلتى « المجتمع الجديد »(١) « والرسالة »(٢) تحت عنوان «هل علة تحريم تعدد الزوجات» فاوقعه ذلك — دون ماقصد — فيما ظنه مأخذاً علينا من عدم المطابقة بين العنوان والمقال . فالأستاذ يقرنا على أن الشرع قد أباح تعدد الزوجات إلى أربع ولم يحرمه بأى نوع من أنواع التحريم ، ويؤيدنا فى انكارنا على معالى عبد العزيز فهمى باشا — أسبغ الله عليه ثوب العافية — ماذهب إليه من القول بأن الشرع يحرم ذلك ، وما ارتكبه دفاعاً عن هذا القول من « تعسف لم يقع نظيره من مسلم» بتأويله آى القرآن بما لا تحتمله ، ورده السنن الواردة بالاباحة وتسفيهه الاجماع المنعقد عليها قولا وعملا فى جميع العصور ... الخ ... لكنه ( الأستاذ الصعيدى ) يرى — مع ذلك — أننا « علة تحريم تعدد الزوجات ، ولكن بطريق ما كان يصح أن يخفى على حضرة صاحب المعالى العالم العلامة عبد العزيز فهمى باشا ... » ولم يبين لنا هذا الطريق صراحة وإن كان قد أشار إليه بما يفهم منه أنه طريق التشريع الوضعى القائم على استعمال ولى الأمر ماله من سلطان على عماله قضاة كانوا أو مأذونين بمنعهم من تحرير وثائق رسمية لعقود الزواج المتضمنة للتعدد أو سماع الدعاوى المترتبة على هذه العقود .

فإن كان هذا ماعناه — ولا يمكن أن يكون قد عنى سواه — فقد أخطأ القصد إلى التحريم ، وإلى حقيقة هدف الباشا وما خفى ومالم يخف على معاليه . ذلك أن الطريق الذى أشار إليه قد لجأ إليه الشارع المصرى حقيقة فى نظائر لتعدد الزوجات تحقيقاً لمقاصده الاصلاحية بما يناسب تطور الزمن وتغير الأوضاع . ومن هذه النظائر مسائل إثبات النسب ، والنفقة ، والعدة ، وتحديد سن الزواج الذى أشار إليه الأستاذ ، لكن هذا الشارع لم يتناول هذه الأمور بتحريم قط ، وما كان له أن يفعل ، إذ الحل والحرمة حكمان دينيان ، والحاكم هو الله وحده جل شأنه ، وإنما سلك الشارع المصرى طريقاً سلبياً لا علاقة له بحل ولا حرمة ، وهو كما قدمنا — طريق منع القضاة والمأذونين من سماع بعض الدعاوى وتحرير بعض الوثائق الخاصة بهذه الأمور . فلا ينبنى على ذلك أن ينقلب الحرام منها حلالا أو الحلال حراماً حتى يصح القول بأننا « علة التحريم» وكل ما هنا لك أنه عطل من الآثار المترتبة على هذه الأمور ما يستلزم الوصول إليه قضاء القاضى أو تحرير الوثيقة وترك الناس بعد ذلك أحراراً يتزاوجون ويقر بعضهم لبعض بالنسب ويؤدون لزوجاتهم ما عليهم لهن من نفقات غير مقيدين فى ذلك إلا بأحكام الدين . ويعتبر صحيحا كل ما ينشئون بينهم من علاقات على هذا النحو ، وتترتب عليه جميع الآثار الشرعية عدا ما ذكرنا من الآثار المعطلة . فلو طلق مسلم مصرى زوجته ثم ولدت بعد الطلاق لأكثر من سنة ولم ينكر المطلق الولد ثبت نسبه منه شرعاً ، وترتبت للولد والوالد كافة الحقوق من نفقة وحضانة وولاية وتوارث وغيرها . ولو تزوج من يقل سنه عن ثمانى عشرة سنة بمن يقل سنها عن ست عشرة سنة فزواجهما صحيح شرعا تترتب عليه كافة الآثار الشرعية عدا المعطل منها . وكذلك الحال فى باقى الأمور التى سلك فيها الشارع هذا الطريق السلبى .

بل إن العلاقات التى تنشأ من هذا القبيل فى حدود الأوضاع الدينية صحيحة قانونا أيضاً وتترتب عليها كافة الآثار عدا ما نص على تعطيله . ومن ذلك أن مواقعة الزوج لزوجته التى يقل سنها عن ست عشرة سنة لا تعتبر جريمة ، فلو لم يكن هذا الزواج

(١) العدد ٣ .

(٢) الأعداد من ٧٦٤ إلى ٧٦٨ من السنة السادسة عشرة .

صحيحاً قانوناً لا عتبرت جريمة هتك عرض ولا نطابق على الزوج حكم المادة ٢٦٩ من قانون العقوبات — ومن ذلك أيضاً أن محكمة النقض والابرام قد أصدرت فى ٢٩ نوفبر سنة ١٩٣٠ برياسة معالى عبد العزيز فهمى باشا نفسه حكمها المشهور بعدم اعتبار ذكر الشهود سناً غير حقيقية لأحد الزوجين فى وثيقة العقد مع علمهم بسنه الحقيقية ، جناية تزوير بناء على أن واقعة السن ليست من الأركان الأساسية فى عقد الزواج لأنه يصح وينفذ وتترتب عليه آثاره الشرعية بدونها .

ولهذه الاعتبارات المتقدمة نرى الشارع المصرى يعبر عما تناوله من هذه الأمور بتعبير يتفق وحقيقة ما قصد إليه من معنى سلبي لا يتعرض فيه لحل ولا حرمة ، فيقول مثلاً « لا تسمع الدعوى لنفقة عدة لمدة تزيد عن سنة من تاريخ الطلاق ، كما أنه لا تسمع عند الإنكار دعوى الإرث بسبب الزوجية لمطلقة توفى عنها زوجها بعد سنة من تاريخ الطلاق » ( المادة ١٧ من المرسوم بقانون رقم ٢٥ لسنة ١٩٢٩ ) بخلاف الأحكام التى أوردها متفقة وأحكام الشريعة ولو فى بعض المذاهب فقط ، كقوله « لا يقع طلاق السكران والمكره » ( المادة ١ من المرسوم بقانون سالف الذكر ) .

على أن سلوك المشرع المصرى لهذا الطريق السلبي مبنى على قاعدة شرعية مقررة وهى « تخصيص القضاء بالمكان والزمان والحادثة » إلا أن تطبيق هذه القاعدة فى مصر محل نظر ليس هنا مجال التبسط فيه . وحسبي أن أجتزىء ببيان أن المقصود بهذه القاعدة وما يتفق مع ما حدث من تطبيقها فى جميع عصور الإسلام المتقدمة ، هو تخويل ولى الأمر ، بما له من الولاية القضائية العامة ، الحق فى تنظيم هذه الولاية بين قضاته بما يتفق والصالح العام ومصلحة المتقاضين وحال القضاة من أن بعضهم أكثر صلاحية للحكم فى بلد دون آخر ، وفى زمان معين دون زمان آخر ، وفى بعض الدعاوى دون بعض . وليس المقصود بهذه القاعدة حرمان المتقاضين من التمتع بالآثار المترتبة على ما أحله الشرع ، وإلا كان فى ذلك تعطيل لبعض أحكامه الخاصة بترتب الآثار المتقدمة على تصرفات أجازها مما لا يدخل فى نطاق هذه القاعدة ولا يمكن أن يكون مقصوداً بها . ولذا قرر جميع من تعرضوا لبيان هذه القاعدة من أمثال ابن فرحون فى تذكرته والماوردى فى أحكامه السلطانية أنه إذا كف ولى الأمر جميع قضاته عن سماع الدعوى بناء على هذه القاعدة ، وجب عليه أن يسمعها بنفسه كيلا تتعطل بعض أحكام الشرع ، فليرجع إلى ذلك من شاء .

ومما تقدم يتبين بجلاء للأستاذ عبد المتعال أن الطريق السلبي الذى أشار إليه ليس طريقاً للتحريم بحال فى وضعه الحالى ، بل ولا يجوز ( شرعاً ) أن يترتب عليه تعطيل لبعض الأحكام المترتبة على تصرفات شرعية صحيحة ؛ ولذلك لم يقل به معالى عبد العزيز فهمى باشا فى مسألة تعدد الزوجات ، وما كان هذا الطريق ليخفى على مثل معاليه ، ولكنه أراد شيئاً ، مغايراً لما عناه الأستاذ ، أراد « تقرير » التحريم بقانون على أنه حكم الشرع كما فهمه معاليه من النصوص القرآنية ، لا « إنشاء » حكم جديد فعنوان مقالاتى فى الرد على معاليه يطابق موضوع النزاع بينى وبينه تمام المطابقة .

إبراهيم زكى الدين بدوى

من جامعات الأزهر وباريس وفؤاد
المتخصص فى الشريعة الإسلامية والقانون

# مجلس الشورى لابليس

لشاعر الهند المرحوم الدكتور محمد اقبال
بمناسبة أسبوعه الذى سيقام فى (لاهور) آخر هذا الشهر احتفالا بذكراه
ترجمة الدكتور السيد محمد يوسف

## كلمة المترجم

لا يزال العالم مسرحاً للنزاع بين الحق والباطل . ولئن كانت كفة الحق رجحت فى فترات من التاريخ ولا سيما إبان ظهور الإسلام ففى عصرنا هذا نرى الدنيا كلها تعانى نظاماً إبليسياً يقوم على أساس استعباد الإنسان للانسان . ومما يدعم هذا النظام أن الدين لم يعد يلعب دوراً إيجابيا فى الحياة البشرية مع أنه بقى منه عناصر شتى فى صورة مشوهة ممسوخة تعمل عمل الأفيون فى تنويم الطبقات المهضومة الحقوق ، مثل الاعتقاد بقضاء الله وقدره ، ولكن أصبح من المقرر أخيراً أن الإنسانية متبرمة من هذا النظام وربما ظهرت هناك تيارات فى الفكر واتجاهات فى العمل تدل على أن الإنسان قد بدأ يتفقد نوع النظام الذى يكفل له ما يعوزه تحت النظام الحاضر ، فتارة نسمع الأصوات تعلو مدوية بـ« الحكم للأمة »وتارة أخرى نرى الناس يعجبون بتعاليم ماركس ، ويهرعون إلى مبادئ الشيوعية التى كانت الفاشستية تعد قوتها لمناوأتها والقضاء عليها حين نظم الدكتور إقبال أبياته المترجمة فيما بعد فى سنة ١٩٣٦ — نعم نلاحظ جميع هذه التيارات المتضاربة فيخيل إلينا أن النظام الإبليسى قد صار على وشك الانهيار وأن فجر السعادة سينبلج عن قريب . ولا غرو إذا استدعى هذا الحال عقد جلسة هامة لمجلس الشورى لإبليس يوم كانت بوادر الحرب الماضية قد لاحت فى الأفق لكل ذى بصيرة وخبرة . وهاهوذا الشاعر يطلعنا على ما جرى فى تلك الجلسة بين إبليس ومستشاريه . والآن بعد أن اشتعلت الحرب العالمية ثم وضعت أوزارها ، وفرغت الشعوب المختلفة من وضع القائمة لربحها وخسارتها — الآن نحن فى موقف يسهل علينا فيه أن نحكم على حسن تدبير إبليس أو بعبارة أخرى صدق تنبؤ الدكتور إقبال وبعد نظره فيما صرح به من أن جميع الحركات الإصلاحية ليست فى الحقيقة إلا أجزاء من خطة واحدة مدبرة من تلقاء إبليس الذى لا يهدد سلطانه إلا الإسلام .

أما الإسلام فإنه وإن كان خطراً عظيما بالقوة لكنه ليس بخطر بالفعل ؛ لأن المسلم قد فقد الإيمان برسالته والثقة بنفسه ؛ فاعتزل معترك الحياة وتنازل عن الدنيا وما فيها فلا يهمه مصير الإنسانية وأوضاع العالم إذا هو شغل فكره فى الترف العلمى المفسد لقوة العمل مثل الإلهيات والكلام؛ وإذن فليس على إبليس للاحتفاظ بسيادته على الأرض إلا أن يستمر فى صرف نظر المسلم — عدوه الوحيد — عن الحياة والجهاد فى سبيلها .

ولكن مهما يكن الحال باعثا على الاطمئنان من ناحية المسلم فالخطر لا يزال متمثلا أمام إبليس فى طبيعة الإسلام وجوهره ؛ لأن الإسلام ينطوى على استنكار الاستعباد بجميع أنواعه وتزكية الثروة وجعلها أمانة فى يد المنعمين . وهاتان الناحيتان — السياسية والاقتصادية — هما اللتان تهمان الإنسانية فى الوقت الحاضر . فلو اهتدت بمقتضى الظروف إلى اكتشاف مبادئ الإسلام — الملك لله والأرض لله — لفسد الأمر على إبليس . فلذلك نراه يسهر على حجب هذا الطريق المستقيم عن أنظار الجمهور المتلمسين طريقهم فى الظلام ليبقوا حيارى متطرفين تارة إلى اليمين وتارة إلى الشمال .

ومما يجب التنبيه إليه أن رسالة إقبال — رسالة الجد والعمل المنتجين — هى تسخير الأسباب المادية والسيطرة التامة على الأحوال والنظم الاجتماعية دون الخضوع لها ؛ فهو دائماً شديد الاغتباط بمظاهر الحركة والنشاط حتى فى حياة إبليس ولا يملك الاستهزاء بالركود والجمود فى الملائكة المشتغلين بالتسبيح والتقديس فقط كأنه يريد التأكيد بأن الفضل كل الفضل فى المغامرة والمخاطرة لا فى الانحياز وسلامة النفس . وهذا أسلوب مطرد للدكتور إقبال فى معالجته لشخصيات موسولينى ولينين وماركس ؛ فإنه ينوه بحيويتهم دون أن يتقيد بمراميهم . وسنرى هذا الأسلوب ينجلى أمامنا بصورة بارزة فى هذه الأبيات المترجمة

السنة سنة ١٩٣٦ م

إبليس — هذه الدنيا لعبة المناصر من قدم ، تقطعت آمال سكان العرش الأعظم حسرات عليها ، قد أزمع الآن على خرابها ذلك المصرف للامور الذى سماها عالم الكاف والنون(١) أما أنا فقد أريت الأفرنج حلم الملوكية وأبطلت سحر المسجد والدير والكنيسة ، وإنى لقنت المعدمين درس القدر ؛ وألهمت المنعمين جنون الرأسمالية . أفيطيق أحد إطفاء النار المستعرة فيما تستند وقائمها إلى لوعة فى قلب إبليس ؟ وهل يطيق أحد قلع تلك النخلة التى تمتد أعصانها بتربيتنا نحن ؟

المستشار الأول — لا شك أن هذا النظام الإبليسى محكم ، إذ تأصل من جرائه العوام فى طريق الاستعباد . هؤلاء المساكين قد قدر عليهم السجود من الأزل حتى أصبحت الصلاة بدون القيام(٢) من مقتضيات فطرتهم ، لا يمكن أبداً أن يتولد فيهم أمل . ولئن ولد أحياناً فلا بد من أن يموت أو يبقى فجا ناقصاً . إن من معجزات سعينا المتواصل أن أصبح المتصوفون وأئمة الدين كلهم من عباد الفردية وإنما كان هذا الأفيون يوافق طبع الشرق ، وإلا فعلم « الكلام » لا يقل شيئاً عن مزامير القوال . ولو بقى الاحتفال بالطواف والحج فما الذى يهمنا من أمره ؟ إذ أن سيف المؤمن المسلول قد فُل ، وعلى قنوط مَن يدل هذا الفرمان الجديد أى قولهم أن الجهاد محرم على المسلم فى هذا العصر ؟

المستشار الثانى — أخير هذا الضجيج بشأن « الحكم للجمهور » أم شر ؟ عجباً إذ لست مطلعاً على الفتن الناشئة فى الدنيا

المستشار الأول — إنى على علم ، ولكن خبرتى بالدنيا ترشدنى إلى أنه لا داعى للخطر أبداً من ناحية ما هو قناع للملوكية ليس إلا . نحن بأنفسنا خلعنا على الملوكية زى الجمهورية إذا تنبه ابن آدم قليلا إلى عرفان نفسه وتقدير ذاته . إن أمر الملكية يمتاز بماهيته الخاصة بحيث لا يقتصر أبداً على وجود « الأمير والسلطان » سواء أكان هناك مجلس الملة أم أركان دولة أبرويز ، « السلطان » عبارة عن كل من يطمح ببصره إلى زرع غيره . أو لم تر إلى النظام الجمهورى فى الغرب ؟ الظاهر مشرق ، أما الباطن فهو أظلم من جنكيز !

المستشار الثالث — كلما بقيت روح الفردية فلا داعى إلى الاضطراب . ولكن كيف تتسنى المعارضة لفتنة ذلك اليهودى الذى هو الكليم ؟ إلا أنه ينقصه التجلى وهو المسيح ؛ بيد أنه ليس معه صليب . ما هو بنبى ولكنه متأبط كتاباً . يعوزنى التعبير عن نظرة ذلك الكافر المتاك للأستار كأنما هى القيامة لأقوام الشرق والغرب . وهل يكون هناك أشنع من فساد الطبع هذا ؟ أعنى أن الأرقاء قوضوا أطناب خيام مواليهم .

المستشار الرابع — انظر ترمعارضة تلك الفتنة فى إيوان رومة الكبرى ؛ فإنا نحن قد جعلنا آل قيصر يحلمون بحلم قيصر مرة ثانية . من الذى يلتف بأمواج بحر الروم ، يعلو تارة مثل الصنوبر ، ويزمجر تارة أخرى مثل الرباب ؟

المستشار الثالث — أنا لا أسلم بالتبصر فى العواقب لمن فضح سياسة الإنجليز بمثل هذا الطريق .

المستشار الخامس — (مخاطباً إبليس) : يا من بحرارة أنفاسه يقوم أمر العالم ! كلما شئت أنت هتكت أية خبيئة . بفضل حرارتك يتحول « الماء والطين » إلى عالم الحرقة والزمجرة ؛ كما أنه بإرشادك يصبح أبله الجنة بصيراً بالأمور . إن الذى يعرف بين العباد الساذجين باسم « الرب » لا يبزك أبداً فى الخبرة بفطرة آدم . إن الذين يشتغلون بالتسبيح والتقديس والطواف لا غير ، لا يزالون خجلين ناكسى الرءوس أمام غيرتك . لئن كان جميع السحرة الإنجليز لا يزالون مطيعين لإرشادك على الرغم من ذلك ، فإنى فقدت الثقة بفراستهم . ذلك اليهودى الفاتن الذى برزت فيه روح مزدك قد أوشك أن يتمزق كل رداء من جراء جنونه . وقد أصبح الزاغ الصحراوى مساوياً للشاهين والصقر . ما أسرع طبيعة الدهر تبدلاً ! تلك التى ظنناها قبضة من الغبار قد تبعثرت وحجبت الأفلاك ، وبلغ الذعر من الفتنة المنتظرة بالغد إلى أن ارتعدت منه الجبال والمروج وضفاف الأنهار . يا مولاى إن العالم الذى يعول على سيادتك فقط ، ذلك العالم على وشك الانقلاب

---

(١) إشارة إلى قوله تعالى : ( كن ) فيكون

(٢) يؤكد الدكتور إقبال أن الخضوع لله يستلزم الاستعلاء وعدم الخوف بالنسبة إلى كل ما سواه والقيام فى الصلوة كأنه رمز للاستقلال والثبات فى وجه غير الله كما أن الأركان الأخرى ولا سيما السجود تعبير عن التسليم لله —

إبليس — ( يخاطب مستشاريه ) : إن عالم اللون والرائحة بما فيه من الأرض والشمس والقمر والسماء طبقاً على طبق ، إنما هو طوع بناني . وسيشهد الشرق والغرب بينهما ما يعجبهما إذا ما أحييت أنا دم أقوام أوربا . إنما تكفي صرخة واحدة مني لحل كل إمام من أئمة السياسة وشيوخ الكنيسة على الغلواء . ولو كان أحد من السفهاء يرى أن الثقافة الحاضرة من صنع الزجاج فليجرب بنفسه كسر أدواتها من الكأس والكوب . إن الجيوب التي مزقتها يد الفطرة لا يمكن أبداً أن ترفأ بإبرة المنطق المزدكي . أنى يمكن أن يهولني هؤلاء الشيوعيون المترددون إلى الأزقة قلقي الأحوال موزعي الفكر مختلطي الأصوات ؟ ولكن لو كنت أشعر بخطر فهو من جهة تلك الأمة التي ما تزال شرارة الأمل مخبأة تحت رمادها . لا يزال يوجد بين هؤلاء القوم عدد قليل من الطالبين الذين يتوضأون بالدموع بالابكار . كل مطلع على بواطن الأيام يتأكد من أن فتنة الغد هي الإسلام لا المزدكية .

— ٢ —

أنا أعرف أن هذه الأمة لم تبق حاملة للقرآن ، وأن الرأسمالية هي بعينها أصبحت ديناً للعبد المؤمن . ولا يغيب عني أن أكام شيوخ الحرم خلو من اليد البيضاء للاضاءة في ليل الشرق البهيم . ولكني أخاف من مقتضيات هذا العصر أن تؤدي إلى تبيان الشريعة النبوية . وحذار ثم حذار من الدستور النبوي فانه حافظ لناموس المرأة ، ومبتلى المرء ومكونه . إنما هو إنذار بالموت لجميع أنواع الاستعباد حتى لا يبقى بعده لا الفغفور أو الخاقان ولا المسكين المرابط بالطريق . هو يطهر الثروة ويزكيها من كل رجس ، ويجعل المنعمين أمناء على المال والثروة . وهل يكون انقلاب في الفكر والعمل فوق هذا : « الأرض لله لا للملوك » يا حبذا لو بقي دستور كهذا مخبأ عن عيون العالم . ومن المغانم أن المؤمن نفسه يعدم اليقين (١) والخير في أن يبقى هو مشتبكا في الإلهيات مشغولا في أوجه تأويل كتاب الله .

— ٣ —

لا أنباء الليل المظلم للمتقى الذي تبطل تكبيراته طلسم الجهات الستة ! هل مات ابن مريم أم هو حي خالد ؟ هل صفات ذات الحق هي عين الذات أو منفصلة عنها ؟ هل المقصود من « الموعود » هو المسيح الناصري أو المجدد المتصف بصفات ابن مريم ؟ هل ألفاظ كلام الله قديمة أو حادثة ؟ بأية عقيدة تنحصر نجاة الأمة المرحومة ؟ هذه المجموعة من اللات ومناة من صنع الإلهيات . أولا تكفي هي اشتغال المسلم في هذا العصر ؟ عليكم أن تجنبوه عالم العمل حتى تفشل كل خطة له في ميدان الحياة . الخير كله في أن يبقى المؤمن مستعبداً إلى يوم القيامة ، متنازلا لمصلحة الآخرين عن هذا العالم الذي لا ثبات له . إنما يليق به الشعر والتصوف اللذان يحجبان عن نظره مسرح الحياة . أنا لا أزال متخوفاً كل لحظة من يقظة هذه الأمة التي تنطوي حقيقة دينها على احتساب الكائنات . عليكم أن تشغلوه عن نفسه بالذكر والفكر وأن تحصروه في المزاج الخانقاهي ( أي الرهبانية )

السيد محمد يوسف الهندي



(١) يعني الإيمان القوي بحيث لا يتطرق إليه شك وهو المحرك للعمل

# ظواهر في حياتنا الأدبية ...!

للأستاذ أنور المعـــداوي

في حياتنا الأدبية ظواهر تستوقف النظر، وتغرى بالبحث، وتدعو إلى التأمل والمراجعة. وتستطيع أن تسمى كل ظاهرة من هذه الظواهر مشكلة؛ لأنها في حقيقتها مشكلة تتعدد فيها الجوانب، وتتشعب الزوايا، وتبقى بعد ذلك في انتظار العلاج! ولك أن تضع مشكلة النقد الأدبي في مقدمة المشكلات التي تعانيها الحياة الأدبية عندنا في هذه الأيام؛ فالنقد الأدبي في مصر هو « نقد الأغمار » كما سماه الأستاذ العقاد وأصاب في التسمية. ولقد تناول الأستاذ العقاد هذه المشكلة في معرض حديثه عن أحد الكتب التي ظهرت حديثاً حول فتنة عثمان، تناولها من زاوية الإشارة ولفت الأنظار، لا من زاوية النفاذ إلى مكامن العلل والأسباب، ومن هنا كانت اللفتة العابرة في حديثه أشبه بلقطة « الكاميرا » السريعة التي تجيد اختيار الزاوية عند التقاط الصورة... أما أنا فأحب أن ألتقط الصورة من زواياها المتعددة لأستطيع أن أعرض للمشكلة لوحة لا تنقصها وفرة «الرتوش»!

أول زاوية يمكن أن ننظر منها إلى المشكلة هي أن أكثر الذين يتولون صناعة النقد لا يصلحون لها؛ فبعضهم تنقصه الثقافة الرفيعة فهو من أنصاف المثقفين، وبعضهم تنقصه التجربة الكاملة فهو من المبتدئين، وبعضهم ينقصه الذوق المرهف فهو من ضعاف الملكة وقاصرى الأداة! هذه الأركان الثلاثة من أركان النقد الأدبي نضعها مجتمعة في كفة، لنضع في الكفة الأخرى ذلك الركن الخطير الرابع ونعني به الضمير الأدبي... وهو وحده مشكلة المشكلات! وماذا تجدى الثقافة، وماذا تجدى التجربة، وماذا يجدى الذوق، إذا كان الضمير الأدبي لا وجود له؟ لا شيء يجدى على الإطلاق؛ لأن الضمير يوجه الثقافة فلا تجور، ويهدى التجربة فلا تضل، ويرشد الذوق فلا ينحرف... وماذا تفعل وأصحاب الضمير الأدبي في مصر هم فئة من ذوى الأهواء والأغراض، يسيرون في ركاب هذا وذاك، يصفقون وليس هناك ما يدعو إلى التصفيق، ويهتفون وليس هناك ما يدعو إلى الهتاف؟! الضمير الأدبي في مصر هو مشكلة المشكلات. وأعجب العجب أن الذين يتولون صناعة النقد في هذه الأيام لا يشعرون بأنهم معرضون لميزان الناقدين، وأنهم حين يظفرون بثناء بعض الناس يفقدون احترام الآخرين... إنهم لا يشعرون بشيء من هذا لأنهم أغمار، ولأنهم أصحاب أهواء وأغراض!

النقد الأدبي في مصر تنقصه هذه الدعائم الأربع مجتمعة: الثقافة، والذوق، والتجربة، والضمير... وأقول مجتمعة لأن هناك المثقف المحروم من الذوق، فهو قد يوفق حين يقدم إليك نظرية في النقد الأدبي؛ ولكنه يخفق إذا ما وصل إلى مرحلة التمثيل والتطبيق؛ ذلك لأن موهبة الذوق الفنى عنده لم تنضج كل النضوج، والنقد في أصدق صوره وأكملها لا يقوم إلا على التوفيق بين القاعدة والمثال... وهناك المثقف الذي لم يمد ثقافته بروافد من التجربة الكاملة، ونعني بها معالجة الكتابة في النقد الأدبي على هدى الإحاطة التامة بأصوله ومناهجه... وهناك المثقف الذي تجتمع له الثقافة والذوق والتجربة ولكنه يتخلى عن ضميره لقاء غرض من الأغراض!

هذه هي بعض الزوايا التي ننظر منها إلى من يتولون صناعة النقد في هذه الأيام، وتبقى بعد ذلك زاوية لا تقل عن سابقاتها خطورة، وهي أن هؤلاء الناس تنقصهم صفة التخصص؛ فبعضهم يتحدث عن القصة وهو لا يعرف شيئاً في فن القصة، وعن المسرحية وهو لا يدرك على أي الدعائم يجب أن يقوم البناء الفني للمسرحية، وعن التاريخ الأدبي وهو لا يستطيع أن يفرق بينه وبين غيره من ألوان الدراسة الأدبية، وعن الشعر وهو محروم من نعمة الشعور! ومما يبعث على الأسى والأسف أن بعض الأدباء ممن كانوا يحذقون صناعة النقد قد انصرفوا عنها إلى الكتابة في الصحف اليومية جرياً وراء المادة، غير مبالين بالفراغ الذي تحسه المكتبة العربية في هذا المجال منذ سنين!

ونترك النقد الأدبي لنتحدث عن مشكلة أخرى هي مشكلة القصة المصرية الحديثة... وأول شيء نقرره هو أن القصة عندنا لا تزال تخطو فتتعثر، سواء في ذلك القصة الطويلة أو القصيرة

التحليلية أو الموضوعية ، التاريخية أو الذاتية ، ومرجع هذا إلى أن كتابنا القصصيين لا يسيرون على القاعدة التي وضعها مارك سوان حين قال : « يجب أن يكون للقصة تصميم فنى كذلك الذى يضعه المهندس المعمارى للبناء ؛ أو كتلك المذكرات التى يعدها المحامى قبل مباشرة إحدى قضاياه » .. القصة عندنا ينقصها التصميم الفنى ؛ ينقصها كيف تبدأ ، وكيف تسير ، وكيف تنتهى ؛ دون أن يكون هناك شذوذ أو اضطراب فى هذه المراحل الثلاث ! وكتاب القصة عندنا ينقصهم الفهم الصادق لأصول الفن القصصى فى كثير من الأحيان ؛ فمنهم من يعتقد أن الواقعية فى القصة مثلا هى أن ينقل عن الواقع ، المادى المحس ، نقلا يتركز فى لفظ أو يتمثل فى عبارة ! الواقعية هى أن تنقل الحياة إلى الورق — لا كما كانت — ولكن كما يمكن أن تكون ... الواقعية هى أن تسير الحادثة مع مجرى الحياة ... الواقعية هى الصدق فى التعبير بحيث لا يطغى الخيال على الواقع ، ولا يجور الفن على الطبيعة . الواقعية بمعنى آخر هى الدقة فى تصوير انعكاس الحياة على حواس الفنان . فأين كتاب القصة المصرية من هذه المعانى ؟ ! إنهم لا يفرقون فى كثير من الأحيان بين أصول القصة التحليلية والموضوعية ، ومن هنا نجدهم يحفلون فى كل قصة من هذا اللون أو ذاك بالنهاية المفتعلة والعقدة المنافية لمجرى الحياة ، ليحدثوا شيئاً من المفاجأة يثيرون به إعجاب القارئ ، ولو كانت تلك المفاجأة على حساب الفن ... مع أن القصة التحليلية حين تبلغ غايتها من تشريح العواطف والأهواء ، لا تكون محتاجة فى الغالب إلى المفاجآت ؛ لأن هدفها الأول هو وضع العواطف الإنسانية تحت مجهر التحليل النفسى !

ونلمس إلى جانب ما ذكرت بعض الظواهر الأخرى التى لا تزال تترك أثرها العميق فى بناء القصة المصرية ، نلمس الحوار المصنوع ، لأن كتابنا القصصيين يتخيلون أن فن الحوار يتمثل فى اللفظ الأنيق ، والمعنى الرشيق ، والعبارة الموشاة ، دون أن يرجعوا إلى الحياة ليروا إن كانت تطيق هذا كله أو لا تطيقه . الفن فى الحوار ليس هو الصناعة اللفظية ، ولكنه إنطاق الشخوص بما يمكن أن تنطقها به الحياة ، فلا يتحدث أحد الخدم مثلا كما يتحدث سارتر أو كسير كجورد ، ولا ينطق أحد الجهلاء كما ينطق بيكون أو ديكارت ! وتنظر فتجد أكثرهم يحركون فى قصصهم شخوصاً من صنع الخيلة لا من صنع الحياة ؛ مخيلتهم هى التى ترتب المنظر ، وتحرك الشخوص ، وتصنع الحوار ، فتكون النتيجة زيفاً فى العمل الفنى يبعد القارئ عن جو الواقعية الذى تنشده كل قصة يرجى لها البقاء ؟ وتبحث عن تصوير الجو الشرقى والروح المصرية فلا تقع عليه فى كثير مما أخرجه كتاب القصة فى السنين الأخيرة . وهذا راجع إلى السطو على الفكرة فى القصة الغربية ونقلها بمهارة إلى القصة المصرية كما يفعل الأستاذ توفيق الحكيم ، تماماً كما تأتى بفتاة ريفية من غانيات باريس فتنزع عنها آخر ما ابتكرته محال الأزياء الباريسية ثم تلبسها « الملاءة اللف ! » قد تكون أجمل ، وقد تكون أكثر فتنة ، ولكنها تتعثر فى مشيتها ولا تستطيع أن تواصل السير . وكيف تستطيع وهذا اللباس الغريب يحد من حرية الجسم ورشاقة الحركة ؟ !

وكثير من قصاصينا تنقصهم صفة الخروج إلى الحياة ... ومن هنا تفوح من قصصهم رائحة « الجدران المغلقة » ، وتنمى بها تلك الأركان المنعزلة التى يقبعون فيها ليرسموا للحياة لوحة تستمد ظلالها وأضواءها وألوانها من جو المحال العامة والأندية الخاصة ... الفنان الحق هو من يخرج إلى الحياة ليستخدم كل حواسه فى تذوق معانيها ، ونقل كل ما يمكن أن يلهب الخيال فيها إلى لوحات من التصوير الفنى ، والفن — كما قلت غير مرة — ما لم يتصل بالحياة ، فهو همود وجمود وموت !

وإذا ما انتقلنا إلى المشكلة الثالثة وهى مشكلة المسرحية المصرية الحديثة فى أى لون من ألوانها سواء كان هذا اللون هو الدرامة أو الميلودرامة أو الكوميديا ، وجدنا أن خطوات العمل الفنى فيها أكثر تعثراً منه فى القصة ، ومرجع هذا أيضاً إلى أن من يعالجون كتابة المسرحية فى مصر أناس لا يلمون كل الإلمام بأصول الفن المسرحى . إن نجاح المسرحية يتوقف إلى حد بعيد على توفيق الكاتب فى اختيار الفكرة أولا ، ثم على تهيئة الجو المسرحى لفكرته تهيئة تعتمد أول ما تعتمد على بعث الحياة والحركة فى الحوار ، وفيما يعرض من نماذج بشرية يبتعد فى تحريكها عن جو الدمى وقطع الشطرنج ، وعلى عنصرى

التشويق والمفاجأة ، وعلى التسلسل الفني في عرض الحوادث عرضاً لا تحس فيه انقطاع الصلة بين الفن والحياة . أما أساس العمل الفني في المسرحية فهو « الصراع » ؛ الصراع النفسي والفكري والفني كما يقسمه واضع الدعامة الأولى للأدب المسرحي الحديث هنريك إبسن ، وأما الصراع النفسي فهو ذلك الذي يكون بين ميول نفسية ، والفكري هو ذلك الذي يكون بين ميول ذهنية ، والفني هو ذلك الذي يتمثل في عملية الحوار ، من ناحية صدق الصلة بينه وبين كل شخصية تلعب دورها على المسرح . كل هذه الدعائم لا بد من توفرها ليتم البناء الفني الكامل للمسرحية الناجحة ، وقد نجد بعض هذه الدعائم متوفراً في المسرحية المصرية ؛ ولكن مصدر إخفاقها هو خلوها في كثير من الأحيان من عملية « الصراع » بأركانه الثلاثة مجتمعة ، وبخاصة الصراع النفسي ، فليس فيها منه إلا ومضات قليلة مبعثرة تشع هنا وهناك .!

هذه هي الظواهر التي خرجت بها من دراستي لبعض جوانب حياتنا الأدبية في السنين الأخيرة ، وهي ظواهر تستطيع كما قلت لك أن تلمس في كل منها مشكلة تتعدد فيها الجوانب ، وتتشعب الزوايا ، وتبقى بعد ذلك في انتظار العلاج !

**أنور المعداوي**

من ظرفاء العصر العباسي :

# ٢ ـ أبو العيناء
## ١٩١ – ٢٨٣ هـ

للأستاذ صبحي إبراهيم الصالح

وما أستطيع — ولا أحسبك تستطيع — أن تكتم أعجابك بهذا الظريف وهو يدلك على مواطن الغنى من نفسه ، ومواضع العزة في تصرفاته ، إذ يوحي إليك أنه غض الطرف عن زهرة الحياة الدنيا ، وكف البصر من متاعها القليل وعرضها الأدنى .

فينشد مزهواً مرفوع الهامة :

الحمد لله ليس لي فرس ولا على باب منزلي حرس
ولا غلام إذا هتفت به بادر نحوي كأنه قبس
ابني غلامي وزوجتي أمتي ملكنيها الملاك والعرس
غنيت باليأس واعتصمت به عن كل فرد بوجهه عبس
فما يراني ببابه أبداً طلق المحيا سمح ولا شرس

إذن هو يحمد الله — الذي لا يحمد على مكروه سواه — على أنه لم يجعل له مالا ممدودا ؛ فليس له خيل مسومة ، وأفراس مطهمة ، وليس له على الأبواب ، حراس ولا حجاب ؛ ولا له غلمان وجوار ، كأنهم في المبادرة نحوه شعلة من نار : وإنما غلامه الوحيد ابنه وفلذة كبده ، وجاريته الفريدة هي زوجته التي دفع إلى أوليائها مهرها فملكها بعد وليمة عرسه ... فحسبه اليأس مما في أيدي الناس ، فان فيه غنى النفس يعتصم به عن الذين يصعرون الخد ، ويقطبون الجبين ؛ بل ليأخذن ميثاق نفسه لما أفقرته هزاهز الدهر ثم قعدت به الأيام عن طلب الرزق ليمتزن بكرامته ، فلا يقرع باب مخلوق متزلفاً متملقاً ، ولا يسأل من الناس سمحاً ليناً لطيفاً ، ولا شرساً قاسياً عنيفا ، أعطوه أو منعوه !

يالها من مهارة !

أما وإن هذه المهارة عند أبي العيناء في إبراز شخصيته هي التي أكسبته ثقة بنفسه لا تتزعزع ، وأخافت كثيرين من التصدي لمارضته ، لأنه كان سريع الجواب حاضر البديهة لاذع النكتة ؛ ما جابه إنساناً إلا غلبه ، ولا ناقشه إلا أفحمه ، ولا جادله إلا ظهر عليه .

ولا ريب أن اسماعه من الأصمعي وأبي عبيدة والانصاري والعتبي وأبي عاصم النبيل الذين سبق أن ذكرنا أسماءهم فضلا كبيراً على فصاحته وبلاغته ، ولسنه وظرفته ؛ وعذوبة شعره وسهولة نثره ، وحسن اختياره ، في رواية أخباره !

ولقد كانت حياة هذا الظريف حافلة بكل مدهش وغريب ، فاذا كان قد عاصر قبل عماه المأمون والمعتصم والواثق ، فأنه عاصر بعد عماه المتوكل الذي دام أربعة عشر عاماً فأمسى أبو العيناء في السادس والخمسين ، ثم عاصر ابنه المنتصر الذي دام ستة أشهر فأتم أبو العيناء السابع والخمسين ، ثم المستعين الذي خلع بعد أن بقي أربعة أعوام فصار أبو العيناء في الواحد والستين ، ثم المعتز الذي خلع نفسه بعد ثلاثة أعوام فأصبح أبو العيناء في الرابع والستين ، ثم المهتدي الذي خلع بعد أقل من عام فأضحى أبو العيناء في

الخامس والستين ، ثم المعتمد الذى ظل ثلاثة وعشرين عاماً فأشرف أبو العيناء على الثامن والثمانين ، ثم المفوض الذى خلع نفسه فى السنة ذاتها ، وأخيراً حضر ثلاث سنوات أو أربعاً من خلافة المعتضد توفى على أثرها سنة اثنتين وثمانين ومائتين كما قال الدارقطنى ، أو سنة ثلاث وثمانين ومائتين كما قال أبو جعفر بن أبى العيناء . ولا بأس إذا رجحنا رواية الابن فى هذا المقام . وهكذا فقد عاش أبو العيناء ثلاثة وتسعين عاماً ، أو قل إنه عاش قرناً إلا قليلا !

وما هذا بالعمر القصير ... فقد تقلبت فى حياة أبى العيناء عصور كثيرة فرأى فى خلالها ملوكا تعز وتذل ، وحكومات تحيا وتموت ، وأبطالا يسوقون الناس إلى الموت ثم يساقون إلى الموت ، ورجالا أكبروا النظام فأسسوا وبنوا ، وجماعات استحبوا الفوضى فهدموا وحطموا : وكان لهذه المشاهد فى نفسه آثار كانت تتفاوت قوة وضعفاً ، وإيجاباً وسلباً ، وغموضاً ووضوحاً ، فتعلم الثقة بنفسه حين ألقى ثقته بالناس لاتنفعه ، ورأى بهجة الدنيا لاتستحق العناء لما قاسها بمصائبها التى تكدر صفوها ، فإذا هو يبكى على حرمانه ، ثم يزهد زهادة الفقير الضعيف ، ثم يتشكى إلى نفسه ، وينشد من صميم قلبه :

تولت بهجة الدنيا ... فكل جديدها خلق
وخان الناس كلهم ... فما أدرى بمن أثق
رأيت معالم الخيرا ... ت سدت دونها الطرق
فلا حسب ولا أدب ... ولا دين ولا خلق !

وإن مجتمعاً خالياً من روح الثقة بين أفراده وجماعاته ، قد سدت الطرق دون معالم الخيرات فيه ، حتى أبطأ بالحسيب حسبه حين لم يسرع به عمله ، وجنى على الأديب أدبه حين كسدت بضاعته ، ولم يرفع المتدين دينه حين ضعفت مكانته ، ولم يعز الفاضل خلقه حين ضاعت كرامته — إن مجتمعاً هذه بعض أوصافه ليس بالمستقر الصالح ، ولا بالمثابة الآمنة .

لكن أبا العيناء — على سخريته بمجتمعه ، واستخفافه بأهل زمانه — قد أدرك الحقيقة التى لاتخفى على الحكيم ، وعرف كثيراً من أسرار القلوب وخبايا النفوس التى لا تكشفها إلا التجارب ، فوازن بين فصاحة الفصحاء وسوء حالهم ، وبين دراهم الأغنياء ونعومة عيشهم ، فعصر الألم قلبه ، وأنطق لسانه ، ففاض شعره بالحسرة وهو يقول :

من كان يملك درهمين تعلمت ... شفتاه أنواع الكلام فقالا
وتقدم الفصحاء فاستمعوا له ... ورأيته بين الورى مختالا
لولا دراهمه التى فى كيسه ... لرأيته شر البرية حالا
إن الغنى إذا تكلم كاذباً ... قالوا صدقت وما نطقت محالا
وإذا الفقير أصاب قالوا لم تصب ... وكذبت يا هذا وقلت ضلالا
إن الدراهم فى المواطن كلها ... تكسو الرجال مهابة وجلالا
فهى اللسان لمن أراد فصاحةً ... وهى السلاح لمن أراد قتالا

ولما آمن بأن الدراهم هى لسان الفصيح ، وسلاح المقاتل ، بحث عنها فلم يجدها ، أو قل إنه وجد القليل منها ، فأخذ يعزى نفسه بالنكتة اللاذعة ، والدعابة الموفقة ، والرواية الطريفة ، يدخل بها السرور على قلبه المحزون وعلى قلوب جلسائه ومعارفه ، حتى اشتهر أمره بين أهل عصره ، وذاع صيته بين أعلى الطبقات وأوسطها وأدناها ، فنادم بعض الخلفاء والأمراء والوزراء ، كما حاور الأدباء والشعراء والظرفاء ، ثم ساير العامة العاديين : فكان الجميع معه على أمرهم مغلوبين ! . . .

— ٤ —

ويبدو أن المتوكل كان أشد الخلفاء رغبة فى اتخاذ أبى العيناء نديماً ، حتى قال ذات مرة لجلسائه : « لولا أنه ضرير لنادمناه » فلما بلغه ذلك قال : إن أعفانى من رؤية الأهلة ونقش الفصوص صلحت المنادمة » هذه رواية معجم الأدباء ، وتجد مثلها فى تاريخ بغداد (ص ١٧٤ ج ٣) . وكان هذا الجواب باعثاً على إرسال المتوكل فى طلبه . فلما دخل عليه فى قصره المعروف بالجعفرى سنة ست وأربعين ومائتين قال له : «ما تقول فى دارنا هذه ؟ فقال أبو العيناء : أن الناس بنوا الدور فى الدنيا ، وأنت بنيت الدنيا فى دارك :

فاستحسن كلامه ثم قال له : كيف شربك للخمر ؟ قال : أعجز عن قليله ، وأفتضح عند كثيره . فقال له : دع هذا عنك ونادمنا . فقال : أنا رجل مكفوف ، وكل من فى مجلسك يخدمك وأنا محتاج أن أخدم . ولست آمن من أن تنظر إلىّ بعين راض وقلبك على غضبان ، أو بعين غضبان وقلبك راض ، ومتى لم أميز بين هذين هلكت ؛ فأختار العافية على التعرض للبلاء . فقال : بلغنى عنك بذاء فى لسانك . . . فقال : يا أمير المؤمنين ، قد مدح الله تعالى وذم فقال « نعم العبد إنه أواب » وقال عز وجل « هماز مشاء بنميم » وقال الشاعر

إذا أنا بالمعروف لم أثن صادقاً ... ولم أشتم النكس اللئيم المذمما
ففيم عرفت الخير والشر باسمه ... وشق لى الله المسامع والفما ؟

ما أحسنه من تخلص !

يعتذر أبو العيناء عن خبث لسانه بأنه لا يشتم إلا اللئيم ، ولا يهجو إلا الذميم ، كما أنه لا يثنى إلا على صاحب المعروف ، ولا يمدح إلا الحقيق بالمدح ، كأنه يريد أن يقنع السامع بصدقه فى شتمه وهجائه ، وفى مدحه وثنائه ؛ لأنه يذكرك بأن معرفة الشر باسمه ، أو الخير برسمه ، تدل على تفكير ساذج لا يعدو ظواهر الأمور ، ولصاحبه أذن لا يسمع بها ، ولسان لا ينطق به : لأن الإنسان الذى لا يعبر عما سمع وتفهم ملتو بيانه ، مائل ميزانه .

ولنا — أمام هذا العرض الواضح — أن نقرر أن أبا العيناء كان شديد الصراحة فى التعبير عن رأيه الخاص ، يحب مجابهة كل إنسان بما يلمس فيه من عيب ، وللعيب مقياس شخصى عنده لا يوافقه عليه كثير من الناس . ويبرز لنا هذا المعنى من نفسه جوابه الشافى لمن سأله : « إلى متى تمدح الناس وتهجوهم ؟ قال : ما دام المحسن يحسن ، وما دام المسىء يسىء . وأعوذ بالله أن أكون كالعقرب تلسب(١) النبى والذمى ! » .

ولقد تبلغ به صراحته مبلغاً يحمله على الاعتراف بما يؤذيه ، ولا سيما إذا غلبته النكتة على أمره . فانه ساعتئذ ينساق مع ما يجيش فى نفسه ، ومع ما يلذ لسامعه ، ولو اتهم برقة فى دينه ، وضعف فى يقينه ، وزلزلة فى عقيدته .

دخل يوماً على المتوكل فقدم إليه طعام ؛ فغمس لقمته فى خل كان حاضراً وأكلها . فتأذى بالحموضة ، وفطن الخليفة له فجعل يضحك . فقال : « لا تلمنى يا أمير المؤمنين ! فقد محت حلاوة الإيمان من قلبى » !

وإن رجلا يعرض بمحو حلاوة الإيمان من قلبه ليستر امتعاضه بدعابته — لرجل صريح ما فى ذلك ريب . ومثله لا يرى فى بذاءة اللسان عند اللزوم إلا وصفاً للواقع ، فهو فى سفاهته يتحدث عن صراحته ، لا يسأل عمن أمامه ، ولا يكترث بما يحيط به ...

كان المتوكل يكره التشيع لعلى بن أبى طالب وآله . فسأل أبا العيناء : « هل رأيت طالبياً حسن الوجه ؟ » .

قال : نعم ، رأيت ببغداد منذ ثلاثين واحداً . قال : نجده كان مؤاجراً ( يؤجر نفسه ) وكنت أنت تقود عليه . فقال : يا أمير المؤمنين أو يبلغ هذا من فراغى ؟ أدع موالى مع كثرتهم وأقود على الغرباء ؟

فقال المتوكل للفتح : أردت أن أشتفى منهم فاشتفى لهم منى ! »

وهذه صراحة منقطعة النظير لم يشجع أبا العيناء عليها إستخفاف المتوكل بالطالبيين ورميه إياهم بعبارات لا تليق بقدر ما شجعه عليها اعتقاده الخاص بآل البيت ورغبته فى إفحام الخليفة نفسه . ولست أعنى بهذا أنه كان متشيعاً لآل البيت ، فما يكون يأبه لشىء من هذا ، وإنما كان يكون لنفسه رأياً خاصاً فى كل من يلقاه : يصاحب من يريد ، ويخاصم من يريد ، ويهمه — قبل كل شىء — ألا يعلو عليه مخلوق .

وكما ظهر أبو العيناء بمظهر المدافع عن آل البيت ليفحم الخليفة المتوكل بجوابه ، خاصم يوماً علوياً ولم يكترث بتشيعه . فقال له العلوى : « تخاصمنى وقد أمرت أن تقول : اللهم صل على محمد وعلى آل محمد ؟ فقال : لكنى أقول الطيبين الطاهرين فتخرج أنت ! » .



فالرجل معارض من الطراز الأول ، ومولع بأن تظفر معارضته حيث كان ، وأمام كل إنسان مهما كان ؛ ولكنه إذا سمع ما فيه مقنع لنفسه بعد طول الحوار رضى به ويبدى إعجابه ولو صدر من صبى أو غلام . نعرف هذا من قوله « أخجلنى ابن صغير لعبد الله ابن خاقان قلت له : وددت أن لى إبناً مثلك . قال : هذا بيدك ! قلت : كيف ذلك ؟ قال : تحمل أبى على امرأتك فتلد لك ابناً مثلى »

وأظن هذا عائداً إلى صراحته حتى بعثه إعجابه بالصغير على الخجل منه وعلى تسجيل هذا الخجل على نفسه . فلا تستغرب منه بعد ذلك أى موقف أمام المتوكل وغيره ترك فيه نفسه على سجيتها ، ولم يتكلف ولم يصطنع .

أنظر إليه وقد دخل على عبيد الله بن عبد الله بن طاهر وهو يلعب بالشطرنج فقال : فى أى الحيزين أنت ؟ فقال : فى حيز الأمير أيده الله . وغلب عبيد الله فقال : يا أبا العيناء قد غلبنا . وقد أصابك خمسون رطل ثلج . فقام ومضى إلى ابن ثوابة وقال : إن الأمير يدعوك . فلما دخلا قال : أيد الله الأمير ؛ قد جئتك بجبل همذان وما سبذان ثلجاً فخذ منه ما شئت ! » .

وهكذا لم يجد لداعبة الأمير إلا ابن ثوابة ، فاتهمه بالبرودة

(١) تلدغ

وجمله جبلا من الثلج ؛ فما رجا لابن ثوابة وقاراً ، ولا استحيا من الأمير !

ومواقفه مع جميع الأمراء كمواقفه مع الدهماء . ولقد حجبه أمير ثم كتب إليه يعتذر منه فقال : « تجبهني[1] مشافهة وتعتذر إلى مكاتبة ؟ » ، وشكا تأخر أرزاقه إلى عبيد الله بن سليمان ، فقال له : « ألم نكن كتبنا لك إلى ابن المدبر ؟ فما فعل فى أمرك ؟ قال : جرني على شوك المطل[2] ، وحرمني ثمرة الوعد . فقال : أنت اخترته . فقال : وما عليّ وقد « اختار موسى قومه سبعين رجلا » فما كان منهم رشيد « فأخذتهم الرجفة » ، واختار النبي صلى الله عليه وسلم ابن أبي سرح كاتباً فلحق بالمشركين مرتداً ، واختار على بن أبي طالب أبا موسى الأشعرى حكما فحكم عليه ؟» .

أما نوادره مع الوزراء فأكثر من أن تحصى ، وأبدع من أن تروى ، ولا معدى لنا عن ذكر بعضها من غير تعليق تمثيلا للقارىء وترويحاً عن نفسه :

دخل على أبي الصقر إسماعيل بن بلبل الوزير فقال له : « ما الذى أخرك عنا يا أبا العيناء ؟ فقال : سرق حماري . فقال : وكيف سرق ؟ قال : لم أكن مع اللص فأخبرك . قال : فهلا أتيتنا على غيره ؟ قال : قعد بي عن الشراء قلة يساري ، وكرهت ذل المكاري[3] ومنة العواري » .

ووعده ابن المدبر يوماً أن يعطيه بغلا ، فلقيه فى الطريق . فقال : « كيف أصبحت يا أبا العيناء ؟ فقال : أصبحت بلا بغل » فضحك منه وبعث به إليه .

وحمله وزير على دابة ؛ فانتظر علفها . فلما أبطأ عليه قال : « أيها الوزير ! هذه الدابة حملتنى عليها أو حملتها عليّ ! » .

وكان يتطاول على الوزير أحمد بن الخصيب حتى وضع كتاباً فى ذمه حكى فيه : « أن جماعة من الفضلاء اجتمعوا فى مجلس ، وكل منهم يكره ابن الخصيب لما كان فيه من الفدامة[4] والجهالة والتنفل ، فتجاذبوا أطراف الملح فى ذمه ؛ فقال أحدهم : كان جهله غامراً لعقله ، وسفهه قاهراً لحلمه . وقال آخر : لو كان دابة لتقاعس فى عنانه ، وحرن فى ميدانه . وقال آخر : كنت إذا وقع لفظه فى سمعى أحسست النقصان فى عقلى . وقال بعض كتابه : كنت أرى قلم ابن الخصيب ، يكتب بما لا يصيب ، ولو نطق لنطق بنوك عجيب . وقال آخر : لو غابت عنه القافية لنسيها . وقال أبو العيناء فى آخر هذا التصنيف : « كان ابن الخصيب إذا ناظر شغب ، وربما رفس من ناظره إذا عجز عن الجواب ، وخفى على الصواب ، واستولت عليه البلادة ، وعرى كلامه عن الإفادة ؛ وكان إذا دنوت منه غرك ، وإن بعدت عنه ضرك ، فحياته لا تنفع وموته لا يضر .

لذلك هجاه قائلا :

| | |
|---|---|
| قل للخليفة يا ابن عم محمد | أشكل وزيرك إنه ركالُ |
| قد أحجم المتظلمون مخافة | منه ، وقالوا ما نروم محال |
| ما دام مطلقة علينا رجله | أو دام للنزق الجهول مقال |
| قد نال من أعراضنا بلسانه | ولرجله بين الصدور مجال |
| امنعه من ركل الرجال وإن ترد | مالا فعند وزيرك الأموال |

فما زاد أبو العيناء على أن جعل ابن الخصيب ركالا يطلق رجله على الناس ، وطالب الخليفة بأن يضع فيه الشكال الذى تقيد به الدابة . وأحسب أن هذا منتهى ما يصل إليه الهجاء !

( البقية فى العدد القادم )

**صبحي ابراهيم الصالح**

(١) تؤنبنى حتى أنكس رأسى .

(٢) التسويف والإبطاء بالوعد .

(٣) المؤجر .

(٤) العى فى اللسان والغباوة فى الفهم .

# من العصور الوسطى
## إلى الأزمنة الحديثة(*)
تأليف هانز كوهين

## ٣ – المرأة الجديدة

خطت تركيا والشعوب الإسلامية فى الاتحاد السوفيتى خطوة حاسمة فى العصر الحديث نحو تحرير نسائهم ، ومساواتهن بالرجال أمام القانون وفى الحياة العامة . ولكن لا تزال مصر والأقطار العربية فى مفترق الطرق . وقد نشطت حركة تحرير المرأة فى مصر والبلاد العربية فى الجيل الماضى ، وأحرزت نجاحاً فى مسألة قانون الزواج . ولعبت المرأة دوراً إيجابياً فى الجهود الوطنية من أجل الاستقلال منذ الحرب العظمى ( الأولى ) .

وكانت صفية زغلول تقف دائماً إلى جانب سعد ، وممثله وهو فى منفاه ، واستحقت لقب الشرف : أم المصريين إذ التفت حولها مجموعة من سيدات المجتمع ، ونشطن فى نصرة زغلول .

وقد قامت الحركة النسائية فى مصر بدور معقول تحت رئاسة هدى هانم شعراوى أرملة شعراوى باشا الذى اصطحب سعداً فى نوفمبر ١٩١٨ عندما ذهب إلى المندوب السامى البريطانى لعرض المطالب المصرية . وفى مارس ١٩٢٣ أنشىء اتحاد نسائى مصرى . فأرسل وفداً إلى الاتحاد النسائى الدولى بروما . وقد أشارت هدى هانم شعراوى فى خطابها إلى التصورات الزائفة عن مركز المرأة فى الإسلام التى تسود الغرب .

وأعلنت أن الذى تحتاجه المرأة هو التعليم وتعديل قانون الزواج ، لضمان مركزها اللائق بها .

وكان من نتيجة الحركة الوطنية الكبرى فى ١٩١٩ أن ظهرت المصريات بعد طول حجاب ، فى وقت كانت الأمة فى حاجة إلى كل قواها لنيل الاستقلال . فانحدث النساء مع الرجال ، ولعبن دوراً عظيما فى الكفاح ، كاتبات فى الصحف ومؤسسات للجرائد . وأسسن من مواردهن الخاصة مدارس للصناعات اليدوية للفقراء ، وفتحن العيادات للأطفال المشردين ، ونظمن الجماعات الأدبية والثقافية .

وقد يعتبر المشروع الذى يناقش قانون الزواج الإسلامى — المقدم فى عام ١٩٢٩ — نجاحاً أحرزته الحركة النسائية المصرية ، إذ يجعل الطلاق أكثر صعوبة ، وللزوجة الحق فى طلب الطلاق إذا أساء الزوج المعاملة لدرجة تجعل حياتهما غير محتملة .

ويمكنها طلب الطلاق إذا هجرها زوجها لأكثر من عام ، بدون سبب وجيه ، أو إذا حكم عليه بالحبس ثلاثة أشهر على الأقل . وفى المشروع قواعد جديدة تتحكم فى رفض الزوج إبقاء زوجته ، وحالات النزاع حول الصداق . وترك الأبناء مع أمهم حتى سن التاسعة ، والبنات حتى الحادية عشرة ، وذلك فى حالة الشقاق والانفصال .

ويبطل الطلاق إذا أعلنه الزوج مضطراً ، أو فى حالة سكر . وليس للقاضى أن يرفض طلاقاً ، ولكن عليه مناقشة الأسباب ومحاولة النصح بالصلح . ومع أن هذه الشروط تمثل حدوداً واضحة فى تفسير القانون السابق ، إلا أن شرط العقوبة على الزوج الذى نطق بالطلاق بدون توسط القاضى الشرعى — قد أحدث تغييراً عظيم الأهمية .

هذه الإصلاحات — إن لم تكن مست التقاليد — ترمى إلى اتخاذ مستويات قانونية ثابتة للأوضاع الاجتماعية . ولم يمانع المشروع فى تعدد الزوجات ، بل جعل الزواج الثانى أكثر صعوبة . وذلك بأن حتم على الزوج أن يبرهن أمام القاضى الشرعى أنه فى مركز يمكنه — ماليا وأخلاقيا — بالقيام بحاجات زوجاته ومن يعولهم .

وفى مسألة تحرير المرأة نجد أن مصر أكثر تقدما من سوريا والعراق ، وأن برنامج الحركة النسائية اجتماعى قبل كل شىء . فهو يقضى بإنشاء مدارس ومراكز تعليمية للنساء والفتيات المحتاجات ، وتعليم بنات الطبقات الدنيا فى مدارس لتدبير المنزل ، وتدريب ممرضات لرعاية الأطفال والمرضى .

وليست هناك معارضة جدية للحجاب سواء فى مصر أو سوريا . ولكن حادثاً وقع فى بيروت فى مايو ١٩٢٨ يدل على

(*) فصل من كتاب هانز كوهين ( الوطنية والاستعمار فى الشرق الأدنى ) الطبعة الانجليزية . لندن . ١٩٣٢

التغير التدريجي فى الآراء . فقد زاد عدد المسلمات اللائى ظهرن فى المجتمع سافرات فى هـذا الثغر . وقامت حركة احتجاج ، ووزعت المنشورات تدعو المسلمين لاتخاذ خطوات ضد السافرات . وفى الجمعة التالية تكلم الخطباء فى المساجد ضد هذه المنشورات ، وطالبوا باحترام الحرية الفردية . ثم نظمت الحركات النسائية فى سوريا وفلسطين والعراق .

وفى إبريل ١٩٢٨ انعقد أول اجتماع للنساء السوريات لمناقشة مسائل التعليم والتدريب المهنى ، وتعديل قانون الزواج . واقترح الاتحاد عقد مؤتمرات سنوية لنساء العرب ، تنعقد بالتتابع فى مصر وسوريا وفلسطين والعراق . وكان غرض الحركة النسائية فى فلسطين مناصرة الكفاح من أجل استقلال العرب . وفى مصر وسوريا توجد صحافة تدعو لصالح المرأة ، وكثير أما يحررها النساء(١)

وفى يولية ١٩٣٠ انعقد مؤتمر لنساء البلاد العربية ، وكان يعتبر دليلا للوحدة الشرقية . وجاءت الوفود وأرسلت التقارير من الحجاز والعراق وتركيا وإيران وأفغانستان والهند الإسلامية كما أرسل الاتحاد النسائى الدولى مندوبة وقد أكدت رئيسة المؤتمر نور حمادة ضرورة حصر الكفاح فى رفع مستوى المرأة ثقافياً واجتماعياً ، وليس فى المطالبة بالحقوق السياسية . لقد كان حجاب المسلمة منافياً للطبيعة ، وسوف يزول من نفسه بارتفاع مستوى التعليم . وناقش المؤتمر تعديلات قانون الزواج ومسألة الخدمة الاجتماعية ، وطالب بإصلاح التقاليد الزوجية . فيجب على الرجل وزوجه أن يعرف كل منهما الآخر قبل الزواج ، وينبغى تقليل أهمية الشوار purchase price بين المسلمين والصداق بين المسيحيين . وأعلن أن اتحاد المسلمات مع المسيحيات فى مصر والأقطار العربية سيجعل من الحركة النسائية عاملا هاماً فى التقدم الثقافى والاجتماعى .

ويعلل دخول الفلسطينيات فى هـذا المحيط من الوجهة الجغرافية فقط ؛ فالنساء فى الدوائر الأرثوذكسية واليهودية متساويات مع النساء العرب فى الثقافة والاجتماع . ثم إن اليهوديات اللائى هاجرن إلى فلسطين — من أوربا فى الخمس سنوات السابقة — قد أتين بالأفكار التقدمية فى النشاط الثقافى والاجتماعى والسياسى . فتذهب الفتيات كالفتيان إلى المدرسة ، وتلعب الجمعيات النسائية دورها فى الصحة والخدمة الاجتماعية . وبفضل جهود اليهوديات ضمن النساء المساواة التامة فى فلسطين . ولكن اعتبارات قومية تحول دون وقوع احتكاك مباشر بين الحركات النسائية اليهودية والعربية فى فلسطين .

وليس من شك فى أن الجماهير قد تنبهت إلى اليقظة الوطنية والسياسية ، وكفى بعواطفهم السياسية الملتهبة أمثلة واضحة . فشعروا بالمسئولية لمحو الأمية وإنشاء مكتبات شعبية ، وتأسيس المدارس وإقامة حلقات ثقافية .

حقاً ، إن الصحف السياسية تقرأ على نطاق واسع مدهش ، حتى الذين لا يعرفون القراءة فى القرى ، يستمعون إلى محتوياتها بصوت عال . ولكن مدى قراءة الكتب الجيدة أقل اتساعا ، وغالباً ما تجهلها الطبقات ، ثم إن معظم الصحف فقيرة فى المادة الثقافية .

وعندما تتحقق الأغراض الوطنية والسياسية ، فإن قوى الحركة يمكنها أن تتجه إلى الغايات الثقافية .

( يتبع ) ترجمة

محمد محمد على

(١) عن موضوع مركز المرأة فى الأدب العربى الحديث ، أنظر : Ettore Rossi Una Scrittice Araba Cottolica Mayy ( Narie Ziyadah ) in Oriento Noderno روما — السنة ٥ ص ٦٠٤

وتدل كتابات مى بوضوح على الشعور بالوحدة التى تجمع المسلمين والمسيحين . فقد ولدت فى ١٨٩٥ وهى كاثوليكية من أب لبنانى وأم فلسطينية وانتقلت إلى بيروت ثم إلى القاهرة فى بداية نشاطها الأدبى . ويرجع تعضيد تعليم المرأة المسلمة ونهضتها الاجتماعية إلى اللبنانية المسيحية وردة اليازجى ( ١٨٣٨ — ١٩٢٤ ) والمصرية المسلمة عائشة عصمت تيمور ( ١٨٤٠ — ١٩٠٢ ) وملك حفنى ناصف ( ١٨٨٦ — ١٩١٨ ) ويتميز هؤلاء بالوطنية العربية الصادقة . وأول كاتب أيد تحرير المرأة المصرية هو قاسم أمين المتوفى عام ١٩٠٨ ، ومؤلف « تحرير المرأة » و « المرأة الجديدة » وكان تلميذا لجمال الدين الأفغانى وصديق سعد زغلول الذى أهدى إليه المرأة الجديدة

وفى مركز المرأة فى الأدب والصحافة منذ أكثر من ثلاثين سنة . أنظر : مارتن هارتمان : صحافة مصر العربية ١٨٩٩ ، ص ٤٦ — ٥٠ .

وقد ظهرت أول صحيفة عربية نسائية فى مصر عام ١٨٩٢ باسم « الفتاة » تحررها سورية مسيحية هى هند بنت نوفل .

وقد أتمت أول فتاة مصرية الدراسة الثانوية كتلميذة خارجية عام ١٩٠٦ ثم شغلت مناصب هامة فى التعليم . وبعد عودة سعد زغلول فى ١٩٢١ ألح على زوجته أن تظهر بدون حجاب . وبلغ عدد مدارس البنات الأميرية عام ١٩٢٨ : ٢٢٤ مدرسة تجمع ٦٠٠ و ٣٦ تلميذة . وقد سمحت الجامعة المصرية للفتيات بالدراسة فى كليات الطب والعلوم والآداب وتقدم فى السنة الأولى ( ٢٨ — ١٩٢٩ ) سبع فتيات لدراسة الطب . وفى أوائل ١٩٣٠ أثارت المحاضرات حول مساواة الجنسين : احتجاج الدوائر الإسلامية المحافظة .

# بين شيخ وشاب وفتاة

للأستاذ ثروت أباظه

أما الشاب فأديب قانع من الأدب بتذوقه وتلذذه . قرأ أكثر ما كتبه المتقدمون ، فلما كتب المحدثون عزف عن القراءة . ولم يجد ما يبرر به هذا العزوف إلا أن يقول لم يعد فى البلد أدب . أصبح هم الكاتب أن يكتب عن الحب والمرأة ، كأن الدنيا قد خلت من كل شيء إلا الحب والمرأة . . فلم يعد فيها مجال للمثل العليا ولا نصيب للموعظة الحسنة . . أين كتاب الأدب القديم وشعراؤه ؟ أين فلسفة المعرى ، وحكمة أبى تمام ، وأمثال المتنبى ؟ أين روائع ابن العميد ، وبدائع عبد الحميد ، ورقائق ابن الزيات ؟ رحم الله الأدب !

وهكذا كان يعزى الشيخ نفسه عن اجتوائها حديث الشباب ، حديث الحب والمرأة .

وأما الشاب فهوابنه ، أراده على أن يكون أديباً فكان ، ولكنه كان على غير طراز أبيه . . كان الأب يؤثر الأدب القديم ويحب أن ينهل ابنه من موارده ، فأخذ يحفظه الأشعار المختارة لعباقرة الجاهلية والإسلام ؛ ولكن ابن القرن العشرين لم يكن ليحتمل أن يقرأ كل كلمة مرتين : مرة فى الكتاب ومرة فى المعجم . فكره الأدب القديم بعد أن تزود منه ما يكفيه أساساً ونبراساً . ولما رأى الأب أن ابنه لا بد تارك الأدب لو بقى مقصوراً على قديمه سمح له أن يقرأ ما يشاء ، فقرأ أكثر ما كتب فى الأدب الحديث .

وأما الفتاة فهى زوجة الشاب ، وهى أيضاً أديبة بفطرتها ، لم توجه نفسها فى قراءتها توجيهاً معيناً ، ولكنها مع ذلك ذات حس فنى دقيق وذوق أدبى مرهف .

أسرة تربطها أواصر القرابة والنسب ، ثم توثق هذه الرابطة بينها رابطة الأدب . أحببت هذه العائلة وأصبح من بواعث الغبطة فى نفسى أن أزورها كلما تهيأت لى الفرصة . . وكان أن ذهبت ، فوجدت (الرسالة) بين أيديهم ، وكانت بها الحلقة الثالثة من (قصة فتاة) . . وهى التى يصف فيها الأستاذ الزيات الفتاة حبيسة فى العزبة ، تلح عليه أن يجاوبها حباً بحب ، لا حباً بنصيحة . ويصفها وقد ملت الانتظار . . فيأتى بقصتها مع الجاموسة ، ثم روايتها مع ابن البستانى .

رأيت الشيخ يتوثب على كرسيه ، وقد رده الحنق شاباً ؛ ورأيت الفتاة مهتاجة فكأنما هى صاحبة القصة ، وكأن « س » اسمها الحقيق ؛ ورأيت الشاب يكتم فرحة تفيض على محياه ، فبدا فى وقاره وكأنه الشيخ ... وعجبت أن يغضب الشيخ والفتاة لسبب واحد ؛ إذ العادة أنه إذا غضب الشيخ رضيت الفتاة ، وإن رضى غضبت . ولكن السبب ، وإن اتحد فى جوهره وهو المقال ، تشعب فى عرضه ، قال الشيخ :

— لولم يكن الزيات هو صاحب الرسالة لوثقت أن هذا المقال مزور عليه . . لا حول ولا قوة إلا بالله ! لقد كان أسلوبه وأدبه عزائى عما أصابنى فى الأدب الحديث . إنه وحده الذى كان يظهر جمال الأدب الجديد حين يكسوه بالأدب القديم ، أيكتب هو أيضاً عن الحب ؟ وأى حب ! وعن الشهوة ؟ وأى شهوة ! لا ، لا يصلح قلم الزيات لهذا الأمر . . ثم التفت إلى وقال : قل له يرجع إلى ما كان عليه فإنه أولى به وأحرى .

قالت الفتاة : لا بأس يا عماه أن يكتب فى الحب ، ولكن أهكذا يكون حب الفتاة ؟ أهى لا تحب إلا بهذه الصورة التى رسمها لها ؟ إن الكاتب حين يكتب عن جنس بذاته يختار من بينه شخصية تتفق عناصرها وأغلب أفراد هذا الجنس

أفتاته « س » هى نموذج الفتاة المصرية ؟ أكل فتاة عصرية ترى فى الخطبة تجريباً وتدريباً ومتعة ، وأن هذا التجريب يكون ...

لم يدعها الشاب تتم الحديث بل اندفع قائلاً :

— حسبك . . حسبك . . فوالله ما غضبت لجنسك المجروح أن يتهم ، ولكن غضبت لأنه يكشف الستار عن خبيئته ، ويبدد ذلك الوهم الذى كان يرين على دخيلته . تضحكن على الرجال فتدعين غموضه وإيغاله فى الاستخفاء . . وظللنا نحن المساكين نقع فى حبائلكن ونرتمى فى شباككن ، محاولين الوصول إلى ما تخفيه نفوسكن حتى نتمكن بعد ذلك من إقامة الحياة فى سننها

# ٢ ـ الشيوعية فى الاسلام

## رأى لجنة الفتوى ورأى السيد جمال الدين الأفغانى

أوردنا فى المقال السابق ما أذاعته لجنة الفتوى بالأزهر عن « الشيوعية فى الإسلام » وما حكمت به على مذهب أبى ذر الغفارى من المخالفة للاجماع والخروج على مبدأ الإسلام ، ثم أوردنا فتوى السيد جمال الأفغانى عن « الاشتراكية فى الإسلام » ، وفى هذا المقال نورد ما قاله السيد عن مذهب أبى ذر وما أبدى من استحسان هذا المذهب . قال السيد رضوان الله عليه : « فى زمن قصير من خلافة عثمان تغيرت الحالة الروحية فى الأمة تغيراً محسوساً . ولشد ما كان منها ظهوراً فى سير العمال والأمراء وذوى القربى من الخليفة وأرباب الثروة بصورة صار يمكن بها الإحساس بوجود طبقة تدعى « أمراء » وطبقة تدعى « أشراف » ، وثالثة « أهل ثروة وثراء وبذخ » ، وانفصل من تلك الطبقات طبقة العمال وأبناء المجاهدين ، ومن كان على شاكلتهم من أرباب الحمية والسابقة فى تأسيس الملك الإسلامى وفتوحاته ، ونشر الدعوة ، وصار يعوزهم المال الذى يتطلبه طرز الحياة ، والذى أحدثته الحضارة الإسلامية ، إذ كانوا مع كل جريهم وسعيهم وراء تدارك معاشهم لا يستطيعون اللحاق بالمنتمين إلى العمال ورجال الدولة . وقد فشت العزة والأثرة والاستطالة ، وتوفرت مهيئات الترف فى حاشية الأمراء وأهل عصبيتهم ، وفى العمال ومن استعملوه وولوه من الأعمال .. فنتج من مجموع تلك المظاهر التى أحدثها وجود الطبقات المتميزة عن طبقة العاملين والمستضعفين فى المسلمين ، تكون طبقة أخذت تحسس بشىء من الظلم وتتحفز للمطالبة بحقهم المكتسب من مورد النص ، ومن سيرتى الخليفة الأول والثانى أبى بكر وعمر كان أول من تنبه لهذا الخطر الذى يتهدد الملك والجامعة

---

الواضح .. ولكن أبيتن هذا علينا . حتى جاءت فتاة فكشفت عن أهم جزء من ذلك السر ، فنفضت أنت وثرت .. ولكنك لم تعرفى كيف توجهين ثورتك ، مع أنها واضحة الهدف .

رأيت النقاش يطول فقلت :

— لقد والله ذكرتمونى بالمستمعين إلى شاعر الربابة ، حين كانوا يتعصبون المعركة قبل أن يعرفوا النهاية .. انتظروا قليلاً حتى تكمل القصة .

وكملت القصة خريفاً وكانت قد ابتدأت ربيعاً . هكذا كملت حقيقة ، أما على صفحات الرسالة فقد كملت أمس . فذهبت إلى هناك ، فإذا الشيخ ضاحك ، وإذا الفتاة جذلة ، وإذا الشاب يكفكف من فرح الشيخ ، ويخفف من سرور الفتاة .. قال الشيخ :

— ألم أقل لكم إن الزيات لا يمكن أن يكتب فى الحب لمجرد الحب .. لقد صدق ظنى فيه . إن القصة نصيحة مبذولة للفتيات من رجل خبر الدنيا وجربها .. وأبى أن يقصر تجاربها على نفسه . ألم تر إليه يقص قصة بلانكيت والخراف ثم الذئب ورواية الفتاة والشبان ثم الذئب أيضاً . إنها نصيحة أحسن تغليفها حتى تخف على السمع وتصل إلى القلب .

قالت الفتاة :

— لقد نالت تلك الفتاة جزاءها .. ولئن كشفت عن أسرار جنسها فإن أخاها قد أخذ بالثأر ؛ وما أظن مآلها إلا الموت المحقق

قال الشاب : « رويدك يا أبى ! وحسبك يا زوجتى ! فإن الرجل وإن ختم قصته بالنصيحة ، فما ذاك بمانع القصة أن تهدف إلى أهدافها الأخرى . فهى فن قبل أن تكون إرشاداً ، وهى تحليل نفسى قبل أن تكون هديا .. أما أنت فما هذا الكلام الغريب ؟ تعزين نفسك بأن البنت قد نالت جزاءها ، فهل ذلك هو الرد على حقيقة ما قالته عنكن ! لشد ما تهرفن أيتها النسوة حين تفحمكن الحجة . حاول الشيخ أن يجيب ، وحاولت الفتاة أن تغضب ، ولكننى قطعت عليهما القول والغضب :

— إن القصة حلوة ومرة ؛ يستطيع كل منكم أن يلتذ هذه الحلاوة وأن يكابد تلك المرارة . لينظر كل إليها من الناحية التى ترضيه . ولئن اختلفت هذه النواحى فإن ثمة زاوية لو نظرتم منها جميعاً ما اختلفتم : القصة قصة الفن ، والأسلوب أسلوب الزيات !

ثروت أباظة

الإسلامية ، الصحابي الجليل أبو ذر الغفاري ، لجاء إلى معاوية ابن أبي سفيان وهو في الشام ، وخاطبه بوجوب الرجوع إلى سيرة السلف وبتقليل دواعي السرف والترف وعدم التمادي في مسببات الحسد ، والعمل على نزعها من العاملين من رجال المسلمين ، وذكر مواعظ كثيرة ، وعدد أخطاراً جمة من وجود طبقة فقيرة عاملة مفكرة في المسلمين ، يكتنفها شظف العيش وقلة ذات اليد بين ظهراني قوم أكثرهم ممن لا سابقة لهم في الإسلام ولا لآبائهم ، ولا من الطبقات المحمودة ، ولا من المجهودات أو الميزات العلمية والجسدية ، ما يوليهم أو يعطيهم حق ما هم فيه من النعيم ، وطيب العيش والرخاء ، غير محض الانتماء والأدلاء بولاء لآل حرب وعمالهم .

فأجابه معاوية بما معناه : يا أبا ذر ، إن ما تقوله هو الحق ، ولكني ليس في استطاعتي الرجوع لا إلى سيرة الصديق وسيره ، ولا إلى العمل الذي كان يعمله الفاروق ، وغاية ما في إمكاني الحث على بذل الصدقات والقول اللين إرشاداً لتخفيف دواعي الحسد ، وغير ذلك فلا سبيل إليه .

قال أبو ذر : قد نصحتك يا معاوية ، والدين النصيحة ، فاحذر أنت والخليفة عثمان مغبة ما أنتما عليه . وذهب من مجلس معاوية مغاضباً ، واجتمع مع طبقة المتألمين والمتذمرين من المسلمين وقص عليهم من سيرة السلف أشياء ، وأطلعهم على ما قاله عامل الشام معاوية بن أبي سفيان ، وأردفها بإعلانه مشاركته لهم في كل ما يحسون به قلباً وقالباً . وبمختصر القول أنه شجعهم على النهضة والمطالبة بحق صريح لهم اهتضمه جماعة بغير وجه شرعي ، ولا باجتهاد إمام سلف ، فكان من وراء عمل أبي ذر هذا أن حصل شيء من التهييج والانفعال النفسي ما خشي معه معاوية وأعوانه سوء المصير .

فجمع معاوية كيده ، واستنجد دهاءه ، وبعث لأبي ذر ليلا بألف دينار ، فقبلها أبو ذر ، وفي الحال بادر لتفريقها على الفقراء والمعوزين من المسلمين . وفي ثاني يوم أرسل معاوية رسولا وقال : يا أبا ذر ، أنقذني من عذاب معاوية ، فإن الألف دينار لم يرسلها إليك وإنما غلطت ، فقال أبو ذر ، والله لم يبق مني من دنانيره ولا دينار ، فليمهلني حتى آخذها ممن وزعتها عليهم من المستحقين في المسلمين . وعلم معاوية صدقه وضاق به ذرعاً ، فكتب إلى الخليفة عثمان مستجيراً من النافآت أبي ذر ، وما أحدثه من التأثير في النفوس . فأجابه متعجلا إرسال أبي ذر إليه ، فأرسله ، ولما تقابل مع عثمان لم يسمع منه أكثر مما سمع من معاوية ، وأنه لا يمكنه أن يفعل ما فعله الفاروق مع العمال من مصادرة ما عندهم من الثروة ، ولا أن يرجع ما كان من حالة مجموع المسلمين في عهدي الصديق والفاروق إلا عن طريق الحث على بذل الصدقات والأحسان فقط . فقال أبو ذر : يا عثمان ، أما تذكر حديث رسول الله ومعناه : « إذا وصل البناء إلى سلع (جبل في المدينة) واستعلى في المدينة .. الحديث » وجبت الهجرة . وفي رواية أنه قال : يا عثمان : إن النبي صلى الله عليه وسلم أمرني بالخروج منها إذا بلغ البناء سلعاً ، وها قد استعلى بناؤك وبناء قريبك معاوية وأعوانكما . فأستودعك الله تاركا لك ولمن استعملت من العمال أعمالكم ، والله من ورائكم محيط . فألح عثمان عليه أن لا يفعل ، فقال أبو ذر : إن رسول الله أولى أن يتبع ، وهاجر من المدينة .

كان في عمل أبي ذر هذا أنه قد أخذ بمحض النصح لخليفة المسلمين إذ ذاك « عثمان » وبنصح عماله ، وبالدفاع عن حقوق المسلمين كي لا تتكون طبقة اشتراكية يكون رائدها الانتقام ، بل دعاهم إلى العمل بنص القرآن والاقتداء بمن طبق ذلك النص عملا من الخلفاء كأبي بكر وعمر .. »

***

وبعد ، فهذه هي فتوى السيد جمال الدين الأفغاني فيما كان من رأي أبي ذر الغفاري وخلافه مع ولاة الأمور على توزيع المال في الإسلام ، ورد مال المسلمين على المسلمين . وشتان بين رأي لجنة الفتوى في مذهب ذلك الصحابي الجليل ، ورأي السيد الأفغاني ؛ فبينما ترى اللجنة أنه أخطأ الاجتهاد وخالف الأجماع يشهد الأفغاني برجاحة رأيه وسلامة مذهبه . وسنعود في المقال التالي للتعقيب على فتوى اللجنة بما يوضح هذه المسألة التي تشغل الأذهان في هذه الأيام ...

« الجاحظ »

# الأدب والفن في أسبوع

## الفكاهة والكاريكاتير في الأدب العربي :

كان هذا عنوان محاضرة الأستاذ كامل كيلاني في دار الاتحاد النسائي يوم الجمعة الماضي ، وقد كان أكثر من هناك من الجنس الناعم ، أوانس وسيدات ، ولذلك رأى الأستاذ أن يستعمل نون النسوة في خطاب الحاضرين أو الحاضرات (على مذهبه) ولم يعبأ بنا ولا بالنحويين ... ولكن هل أرضاهن بهذا الصنيع ؟ أو لسن من المطالبات بإلغاء نون النسوة ؟ وقد احتججن عليه بعد الفراغ من المحاضرة احتجاجاً رقيقاً ؛ وهن — وإن أنكرن نون الإناث — لم تفارقهن لوازمها في أثناء المحاضرة ، فهذه إحداهن تشتغل (بالتريكو) ولا يفوتها أن تبتسم لبعض الفكاهات التي تأتي في سياق المحاضرة ، وتلك أخرى تفتح حقيبة يدها وتستغرق في النظر إلى مرآتها وتصلح شيئاً من زينتها ... ولا تنتبه إلى المحاضرة إلا على ضحكات صواحبها من تلك الفكاهات . أفلا ترى الأستاذ على حق في تجاهلنا واستمساكه بنون النسوة ... ؟

بدأ الأستاذ كامل كيلاني بشرح لغوي خفيف لمعنى الفكاهة حتى قال : الفاكهة ثمرة الأرض والفكاهة ثمرة العقل . ثم قال إن الإنسان يبلغ بالفكاهة البارعة ما لا يبلغه بكثير الكلام ، واستشهد بما قاله « سويفت » مؤلف « جلفر » في بعض قصصه : « ثم صفعه في احترام وأدب » وبمقالة برنارد شو لأحد اللوردات وقد قال له إنك تبغي المال من رواياتك ، قال له برنارد شو : وماذا تبغي أنت من أعمالك ؟ قال : الشرف . قال كل منا يسعى في طلب ما ينقصه .

ثم قال إن الأدب العربي زاخر بالفكاهات التي تجسم الأشياء والمعاني تجسيماً « كاريكاتيرياً » فتبرز المقصود إبرازاً بالغاً يشبه في الأدب فن « الكاريكاتير » في التصوير ؛ ومثل لذلك بقول الجاحظ في كيسان النحوي : « أعرف رجلا يسمع غير ما يقال له ، ويكتب غير ما سمع ، ويقرأ غير ما كتب ، ويفهم غير ما قرأ » وقد نظم هذا أحد الشعراء فقال :

تقول له زيد فيكتب خالداً … ويقرؤه بكراً ويفهمه عمرا

ومما مثل به من هذه الصور الأدبية « الكاريكاتيرية » قول بعضهم :

أفرط نسياني إلى غاية … لم يدع النسيان لي حسا
فصرت مهما عرضت حاجة … مهمة أودعتها الطرسا
وصرت أنسى الطرس في راحتي … وصرت أنسى أنني أنسى

وقول ابن الرومي :

إن تطل لحية عليك وتعرض … فالمخالي معروفة للحمير
علق الله في عذاريك مخلا … ة ولكنها بغير شعير
لو غدا حكمها إليّ لطارت … في مهب الرياح كل مطير

وقوله :

أبو سليمان لا ترضى طريقته … لا في غناء ولا تعليم صبيان
له إذا جاوب الطنبور محتفياً … صوت بعصر وضرب في خراسان
وتحسب العين فكيه إذا اختلفا … عند التنغم فكي بغل طحان

وقول المتنبي :

وإذا أشار محدثاً فكأنه … قرد يقهقه أو عجوز تلطم

وقول أبي الفرج في بعض قصصه بالأغاني : « ثم خرجت من الخوخة لحية حمراء يتبعها رجل » ولعل محرر « آخر ساعة » نظر إلى هذا عندما كتب منذ نحو عشر سنوات في الحديث عن رجل من رجال السياسة كان معروفاً بطول شاربيه : « ثم خرج من السيارة شاربان يتبعهما رجل » .

وقال لي الأستاذ كامل كيلاني ، وقد عبرت له عن استحساني لتسمية هذا الموضوع ، قال : كان بعض الغربيين ومن يحاكيهم يعيبون الأدب العربي بالمغالاة ، وهذا هو نوع من المغالاة نراه مطابقاً في التعبير لطريقة فن من الفنون الحديثة .

## أبو القاسم الشابي :

ألقى الأستاذ صالح جودت محاضرة عن أبي القاسم الشابي ، يوم الخميس الماضي بنادي الاتحاد الأرثوذكسي . قال : عرف الأدب العربي هذا الشاعر لأول مرة في سنة ١٩٣٣ حينما نشرت له مجلة « أبولو » قصيدته المشهورة « صلوات في هيكل الحب » التي أثارت اهتماماً عظيماً وأنشأت مدرسة جديدة في الشعر الحديث . كان أبو القاسم يؤمن بالسمو ، ويرى أن الشعر ليس

إلا تصويراً للحياة فى صورة رفيعة تتكافأ مع ما للشعر من قدسية الفن وجلاله؛ ومصداق هذه النظرة فى قصيدته التى أشرنا إليها، هذه الأبيات فى نجوى حبيبته :

أنتِ، أنت الحياة فى قدسها السا مى وفى سحرها الشجى الفريد
أنت فوق الخيال والشعر والفن وفوق النهى وفوق الحدود
أنت قدسى ومعبدى وصباحى وربيعى ونشوتى وخلودى

ثم قال: ولد أبو القاسم سنة ١٩٠٩ فى بلدة توزر بتونس، وحفظ القرآن، ثم التحق بالمعهد الزيتونى، ثم بكلية الحقوق وتخرج فيها سنة ١٩٢٩ وكانت وفاته سنة ١٩٣٤ فى المنفى الذى اختاره لنفسه فى مكان يقال له باب حومة الملوج .

وقال أحد الأدباء التونسيين : إن أكبر مؤثر فى حياة الشابى، موت حبيبته، غير أننا لا نجد فى شعره ما يشير إلى صحة هذه الواقعة. إن حبيبته موجودة فى أكثر شعره، أما موتها فلا أثر له .

أما المؤثر الثانى فى حياة الشابى وشعره، فهو أنه كان مجدداً جريئاً صاحب دعوة تقدمية كبيرة فى الأدب التونسى، أثارت عليه أدباء البيئة الجامدة المحافظة التى يعيش فيها، فلقى منهم حرباً شعواء. حاربوا آراءه فى الأدب، وأخيلته فى الشعر، كما أنه لقى من ناحية أخرى كثيراً من عنت الفرنسيين المستعمرين لبلاده، لأنه كان فى شعره الوطنى فولتير العربى، الذى دعا شعبه إلى الثورة من أجل الحرية فى كثير من القصائد الصارخة، ومنها قصيدة رائعة مطلعها :

إذا الشعب يوماً أراد الحياة فلابد أن يستجيب القدر
ولابد لليل أن ينجلى ولابد للقيد أن ينكسر

ولكن الشعب لم يستمع إلى هذه الصرخات الدوية، ولم يثر على القيد، فوقف أبو القاسم يتهكم ويتألم فى قصيدة مدوية عنوانها إلى الشعب، ومنها :

أنت يا كاهن الظلام حياة تعبد الموت، أنت روح شقى
كافر بالحياة والنور، لا يصغى إلى الكون قلبه الحجرى
أنت دنيا يظلها أفق الماضى وليل الكآبة الأبدى
والشقى الشقى فى الأرض شعب يومه ميت وماضيه حى

وهكذا اجتمعت على أبى القاسم حروب ثلاث، حرب من الأدباء والشعراء الجامدين أو الحاقدين، وحرب من الفرنسيين المستعمرين، وحرب من نومة الشعب وعدم استجابته لصرخات الحرية. وقد كان كل هذا كفيلا بأن يهد كيانه، فأصابته ذات الرئة، وعاش عمراً قصيراً كعمر الزهر عند باب حومة الملوج، يقرأ، وينظم الشعر، ويرعى الأغنام، حتى مات ولما يتجاوز الخامسة والعشرين .

### نشر الثقافة الأزهرية :

مما يحمد لفضيلة الأستاذ الأكبر شيخ الجامع الأزهر اهتمامه بنشر الثقافة الأزهرية بين الشعوب العربية والإسلامية، وقد تحدث أخيراً إلى أحد زعماء العرب فقال إنه يسعده أن يستطيع الأزهر إنشاء فروع له وتوجيه بعوث منه إلى كل البلاد الإسلامية، ولكنه يرى أن على الأزهر أن يوجه اهتمامه أولا إلى الشعوب التى لا ثقافة لها، وأن هـذا هو ما اعتزمه، إذ قرر إرسال بعوث إلى جنوب أفريقية وشرقها وإلى أوغندا وإرتيريا، أما البلاد العربية التى تتوافر لها الآن عوامل الثقافة فهى فى غنى عن ذلك، ومع هذا فإن الأزهر مستعد لأن يمدها بالمدرسين كما طلبت حكوماتها إليه هذا .

وبهذه المناسبة نلفت النظر إلى أمر يتعلق بنشر الثقافة الأزهرية فى سائر البلاد العربية، ذلك أن فى الأزهر كثيراً من البعوث الوافدة إليه من مختلف البلاد الإسلامية، ومن المفهوم طبعاً أن الغرض من هـذه البعوث هو أن يتزود أفرادها من الثقافة الإسلامية بالأزهر، لينفعوا بها قومهم إذا رجعوا إليهم، ولكن كثيرين من هؤلاء يقضون الأعمار فى مصر، وتظل أرزاقهم من الأزهر جارية عليهم، ولا يعودون إلى بلادهم. وأحسب أنى لست بحاجة إلى أن أقول إن مصر لا تضيق بهؤلاء الإخوان، فهى ترحب بهم دائماً ولا تعتبرهم غرباء. ولكن المسألة هى أنهم، بإقامتهم الدائمة هنا، يفوتون الغرض الذى تنشده منهم بلادهم، والذى من أجله أرسلتهم إلى الأزهر .

### العربية فى الباكستان :

من أنباء الباكستان أن جماعة الثقافة العربية تطالب بتعميم تعليم اللغة العربية فى المدارس، حتى تصبح هى لغة التعليم هناك، وأن من أغراض هذه الجماعة نشر الثقافة العربية فى الباكستان،

وأنها ترى إلى تكوين جمهور يقرأ المؤلفات ودواوين الشعراء التي تصدر في البلاد العربية .

وهذا أمر طبيعي ، فقد عرف المسلمون الهنود منذ الفتح الإسلامي بالإقبال على تعلم اللغة العربية ، وقد نبغ منهم فيها كثيرون في الأدب وعلوم الدين ؛ ولغة التخاطب الحالية تحتوي على كثير من الألفاظ والتراكيب العربية . وشعور المسلمين في الباكستان يتجه الآن نحو البلاد العربية ، وقد بدا أخيراً في تأييدهم لقضية فلسطين ، ولا شك أن اللغة العربية وآدابها وثقافاتها ، هي أهم ما يربطها بالبلاد العربية ، وهي وسيلتها إلى كتلة الجامعة العربية .

**العربية وهيئة الثقافة الدولية :**

عاد الأستاذ شفيق غربال بك من باريس ، حيث حضر اجتماع اللجنة التنفيذية لهيئة التربية والتعليم والثقافة الدولية ( الأونيسكو ) وهو عضو دائم فيها .

وقد قام الأستاذ شفيق بك بمساع لجعل اللغة العربية لغة رسمية لمؤتمر الهيئة إلى جانب اللغتين الإنجليزية والفرنسية ، فكللت مساعيه بالنجاح .

ومن المعلوم أن هذه الهيئة تدعو إلى حسن التفاهم العالمي عن طريق التقارب الثقافي ، فمن أغراضها محاربة طرق التربية التي تغرس في نفوس الناشئة فكرة السيادة العنصرية ، وهي لهذا تعنى بإعادة نشر التعاليم الديمقراطية في ألمانيا واليابان .

وستعقد الدورة الثالثة لمؤتمر الهيئة العام في بيروت ابتداء من يوم ١٤ أكتوبر القادم وستمثل به الدول العربية ، وتهتم الإدارة الثقافية بالجامعة العربية ، بتنسيق الصلة بهذا المؤتمر .

**القصة والشعر :**

ظهر من إحصاء في الولايات المتحدة أن المجلات الخاصة بالشعر من أكسد المجلات ، ويقابلها المجلات القصصية التي تعد من أروجها ؛ والحال عندنا تشبه ذلك من حيث قلة الاهتمام بقراءة الشعر والإقبال على قراءة القصص ؛ وإن كان ليس لدينا الآن مجلة خاصة بالشعر بعد مجلة « أبولو » التي كان يصدرها الدكتور زكي أبو شادي وقد تعطلت منذ سنين ؛ كما أنه ليس لدينا مجلة خالصة لفن القصة الرفيع بعد مجلة « الرواية » التي أدغمت في « الرسالة » ورأى أنه يجب المبادرة بفك هذا الإدغام لضرورة الاحتفاظ بمستوى القصة باعتبارها فناً من فنون الأدب ، لأن التسابق على تقديم مواد تافهة للقراءة السهلة ، يكاد ينحدر بالقصة إلى مستوى هذه المواد .

**كتابة التسلية :**

في مقال بمجلة النداء عنوانه « الصحافة المصرية ... تطورت !! » قال الأستاذ سلامه موسى :

« إن الكتاب التافهين قد فشوا في هذا المناخ الصحفي الجديد ، وصار دأبهم تسلية القراء دون أن ينفعوهم ، وهناك مجلات أسبوعية ليس فيها شيء آخر غير التسلية ، وهي حرب على الذكاء والفهم كما أنها تنشر الأمية السياسية بين القراء .

والأب الذكي والأم المستنيرة التي تتبصر للمستقبل يجب أن يقاطعا مجلات التسلية حتى ينشأ أبناؤهما على جد ونقد وذكاء في معالجة الشئون السياسية والاجتماعية ، لأن جرائد التسلية تبلد الذهن وتجعل القارئ يهتم بالتافه دون الجدي من الشئون ، ويصبح هذا الاتجاه خطته في الحياة لا في القراءة فحسب »

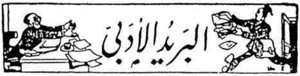
**كتب مصرية لجامعة ألمانية :**

طلبت إحدى الجامعات الألمانية إلى بعض المراسلين الألمان في مصر ، أن يتصلوا بالمؤلفين المصريين ويطلبوا منهم نسخاً من مؤلفاتهم ليرسلوها إلى هذه الجامعة ، حتى تستطيع بذلك أن تعوض ما فقدته ، بسبب القنابل في الحرب الأخيرة ، من المكتب والمخطوطات العربية التي كانت تحتويها مكتبتها .

**معهد السينما :**

اجتمعت لجنة النهوض بشئون السينما يوم الأربعاء الماضي برياسة وزير الشئون الاجتماعية ، لمواصلة بحث وسائل ترقية فن السينما ؛ وفي اجتماعها الأخير عهدت إلى يوسف وهبي بك وأحمد بدرخان ومحمد عبد العظيم ، وضع برنامج الدراسة في معهد السينما المزمع إنشاؤه . وينتظر أن تبدأ الدراسة في هذا المعهد في العام الدراسي القادم ، وسيكون مستواه التعليمي مماثلا لمعهد التمثيل العالي ، وستتجه الدراسة فيه إلى الناحية النظرية والعملية في وقت معاً .

العباسي




## الى معالى وزير العدل :

زار أحد الشعراء معالى أحمد مرسى بدر بك وزير العدل فى مكتبه بالوزارة ، فوجد من تواضعه وحسن استقباله وفرحته بلقاء الأدب ما أنطقه بهذه الأبيات :

أبى الله إلا أن تزيد تساميا ... فما زادك الكرسى إلا تدانيا
وما حاجة العالى بأصل وسؤدد ... ليطلب من جاه الوزارة عاليا
وما عجبٌ جمع النقيضين فى امرئ ... بعدت ، ولكن كنتَ بالفضل دانيا
فما بدَّل الكرسى منك جوانبا ... ولا غيَّر الكرسى منك نواحيا
ترى المجد أعمالاً كباراً وهمة ... وغيرك يلقاه مُنى وأمانيا
وأوليتَنى بالعطف منك مآثرا ... فقلدت جيد الشعر منك غواليا
وكدتُ أُمنّى النفس بالظلم مرة ... لعلى ألاقى الحق عندك ثانيا

## لن الزمخشرية :

كتب الأستاذ هارون محمد أمين فى بريد الرسالة الأدبى عدد ٧٦٥ تعليقاً تحت عنوان ( لن لا تفيد تأكيداً ولا تأبيداً ) تعقب فيه ما جاء فى كلام معالى عبد العزيز فهمى باشا من إفادتها لذلك وقال ( والذى أعلمه أن لن كما ذهبت إليه جمهرة النحاة لا تقتضى تأبيد النفى ولا تأكيده ولم يقل بذلك إلا الزمخشرى ) الخ ثم ذكر فى التدليل على إبطال ما ذهب إليه الزمخشرى قوله ( واذكر فى الرد عليه أدلة منها أنه لم يقم دليل على كونها للتأبيد وأنها لو كانت كذلك للزم التناقض بذكر اليوم فى قوله تعالى : فلن أكلم اليوم إنسيا ، وللزم التكرار بذكر الأبد فى قوله تعالى : قل لن تخرجوا معى أبداً ) ولا ريب أن ما ذكره الأستاذ هارون مبين فى مثل القاموس والمغنى وغيرهما ؛ غير أن كثيراً من المحققين قد بحثوا هذا الموضوع وأتوا بما يختلف مع ما نقله الأستاذ هارون فرأيت أن ألفت النظر إليه :

ذكر الإمام الزمخشرى فى كشافه ومفصله : أن لن معناها تأكيد النفى ، ووافقه على ذلك كثير من النحاة كما ذكره الصبان فى حواشى الأشمونى والجلال السيوطى فى همع الهوامع . ونقل الأخير فى الإتقان أن العرب تنفى المشكوك بلا ، والمظنون بلن . وفى كلام سيبويه ما يؤيد هذا الرأى إذ يذكر أن لا نفى ليفعل ، ولن نفى لسيفعل والأخير مؤكد فى الإثبات فكذلك يكون نفيه . وقال السعد : إن منع إفادتها للتأكيد مكابرة .

أما دلالتها على التأبيد فقد نسبت للزمخشرى فى بعض نسخ أنموذجه وبعضها الآخر يتفق مع الكشاف والمفصل فى التعبير بالتأكيد دون التأبيد . ومهما يكن فنقطة الخلاف بين ما نسب إلى الزمخشرى وبين الجمهور هى : هل أن لن تستعمل على وجه الحقيقة فى غير التأبيد أم تختص به ؟ فالجمهور يقول بالأول والزمخشرى بالثانى . قال ابن مالك فى التسهيل : « وينصب المضارع بلن مستقبلا بحد وبغير حد ، خلافاً لمن خصها بالتأبيد » . وانتُقد رأى الزمخشرى هذا بما ذكره الأستاذ هارون . واتهمه ابن مالك بأن الحامل له على دعوى التأبيد اعتقاده بأن الله لا يرى فى الآخرة وانتصر له بعض المحققين وأجاب عن التناقض المزعوم فى قوله تعالى : فلن أكلم اليوم إنسيا . بأن الزمخشرى لا يمانع فى استعمالها فى غير التأبيد مجازاً حتى يحصل التناقض . وعن التكرار فى : قل لن تخرجوا معى أبداً بأنه على تسليم وجوده لا محذور فيه ؛ إذ التكرار يرد فى كلام البلغاء للتأكيد. ورد على ابن مالك فى توجيه تلك التهمة بقوله : « إن ذلك خروج عن منصب المباحثة ؛ إذ بعد ثبوت إمامته فى العربية باتفاق أعتها كيف ينسب إليه مثل ذلك الذى لا يصدر عن الجهلة ؟ فالإنصاف أن اجتهاده فى العربية المسلم له المبنى على تتبع مواطن الاستعمال قضى بحسب ما ظن بتأبيد نفيها ؛ وعليه خرج الآية الموافقة بحسب ظاهرها لمذهبه ، فقد بنى مذهبه على الاستعمال اللغوى دون العكس . على أن فى هذا البناء توقفاً ، إذ لا يمتنع من التجوز فى الألفاظ ، فليس لما ذهب إليه كغيره من طائفته إلا الأدلة العقلية البينة ردودها » ومما تقدم يتلخص أن لن تفيد تأكيد النفى عند كثير من المحققين كما أنها تستعمل حقيقة فى الدلالة على تأبيده وإن لم تتعين له خلافاً لما جاء فى كلام

الأستاذ هارون ، وأن الزمخشري لم ينفرد إلا بدعوى التعيين ، على أن هذه الدعوى قد وافقه عليها ابن عطية أيضاً .

طرابلس الغرب — عبد الرحمن الفلهود

## نشيد العربي !! :

« اقترحت دائرة التوجيه الوطني في الهيئة العربية العليا ( نشيداً يتفق مع روح الجهاد القائم في أقطار العروبة ، يتضمن معنى الغناء في أوزانه ، ويفيض رجولة في كل لازمة منه . على أن يكون محدوداً لا يقل ولا يمل ... ) وقد تخيرت هذا النشيد . »

نحن أبناء الصناديد الأباة — قد ورثنا المجد لا نرضى سواه

فنهضنا نبتغي عز الحياه — بقلوب كالرواسي لا تلين

لن ترى فينا جبان — إن دعا يوم الرهان

وحمانا رغم أنف الحدثان : — لن يهان ! لن يهان !

سوف نمضي قدُماً بين الأمم — لا نبالي الموت ، لا نخشى الحمم

نبذل الروح إذا الخصم دهم — ونوالي موكب النصر المبين

قد برزنا للجلاد — مذ دعانا الأجداد

وتعالى صوتنا في كل واد : — الجهاد الجهاد !

يا شباب العرْب هيا للكفاح — جردوا من عزمكم أمضى سلاح

وانزعوا من قبضة الدهر النجاح — فلقد هان الذليل المستكين

أنت حر لا تضام — يا فتى العرْب الهمام

فتقدم لا تبالي بالحمام : — للأمام ! للأمام

رام الله — فلسطين

محمد سليم الرشدان
ماجستير في الآداب واللغات السامية

## بين تيمور والنشاشيبي :

أحب أن أؤكد للأستاذ الفاضل « منصف » أن ما ذكرته في مجلة الكتاب عن مخطوط « النوادر » هو الصحيح ، فقد رجعت في ذلك إلى أناس قرأوا الكتاب بأعينهم ، ووصفوه بما ذكرت . ولو كنت بالقاهرة لنقلت له ما قاله الأستاذ محمد كرد علي والسيد محمد الببلاوي في هذا الصدد ، ولكن ما كل ما يتمنى المرء يدركه .

على أن النسخة الخطية للكتاب لا تزال في حوزة اللجنة المؤلفة لنشر مخطوطات تيمور ، فلا أقل من أن يتفضل أحد أعضائها الأفاضل فيحكم بيننا في هذا الموضوع .

وقد يكون الأستاذ « منصف » قد قرأ في النوادر نادرتين متتابعتين أو أكثر في موضوع واحد ، فظن أن الكتاب مبوب مقسم ، والحقيقة أن هذا من قبيل التصادف فحسب ، وفي نقل الأديب ما يماثل ذلك ، بل إن النشاشيبي رحمه الله قد أفرد قبل وفاته عدة صحائف من نقله في موضوع واحد ، هو الحث على الجهاد ، وكان ذلك بمناسبة الدفاع عن فلسطين ... هذا وللأستاذ المنصف تحياتي .

( الكفر الجديد ) — محمد رجب البيومي

## حول قصة تضحية أم :

طالعت في العدد الماضي من الرسالة القصة القيمة التي كتبها الأديب عبد القادر صادق من دمشق والتي قدم لها بأن رواها له شيخ جليل زار الشرق الأقصى للتبشير !

ولقد لاحظت أنها وقعت في حرب ١٩٠٤ ، وهي سنة متقدمة جداً بالنسبة لسن الكاتب الفاضل ، وللمبشر الجليل ! ويؤسفني أن أقرر هنا للحقيقة والتاريخ ، أن هذه من صنع مصر ، لم يصنعها خيال الأديب الكاتب ، ولا رواية الشيخ المبشر ، ولكن صاغها قلم هذا الضعيف — حسين الغنام — ونشرها فيما نشر من صور بطلات النساء التي كان ينشرها في ( جريدة الجلاء ) بمدينة الإسكندرية . وكان ذلك عام ١٩٣٨ ... حتى أسماء الأبطال هي أسماء الأبطال ، مع تحوير طفيف ، وسبحان جامع الخواطر .. !

هذا مع اعتقادي أن للقصة أصلاً عربياً صرفاً ...

حسين مهدي الغنام

## تصحيح :

في مقال الأستاذ « الجاحظ » « الشيوعية في الإسلام » في العدد ( ٧٧١ ) من « الرسالة الغراء » ورد استدلال في كلام « جمال الدين الأفغاني » بقوله تعالى « واعلموا أنما غنمتم من شيء فلله خمسه » والصواب « فأن لله خمسه » وجاء بعد ذلك « ولذوى القربى » والصواب « ولذي القربى » والله الموفق .

علي زين العابدين منصور

## رسالة النقد

# « نـــــار ونور »

ديوان شعر للأستاذ محمد مجذوب

شعرنا العربي في العصر الحاضر يعاني أزمة ..

ومعنى ذلك أننا نعاني أزمة شعورية .. أي أننا لا نستطيع أن نستوحي الحياة لنستمدّ منها الإلهام ، ولا نتعمق النفس الإنسانية لنسبر غورها .. ولا نمد أبصارنا إلى هذا الكون الواسع لنجول بأفكارنا فيه .. أي أننا لا نستطيع أن نخلو إلى أنفسنا ساعة نستوحيها ، ولا نعتمد على شخصياتنا لنستقل بأنفسنا ، ونؤمن بنظرتنا الذاتية .

نعم ! إن الشعر العربي في أزمة محكمة ..

أساسها أننا لا نزال غير متفقين على معنى الشعر .. فكثيرون يحسبون أن كل من سطّر أبياتاً وقيدها بالوزن وسجنها في ( قارورة ) القافية شاعراً من شعراء عصرنا المعدودين ..

وشعرنا يتلوى بين فئتين : فئة تغرق في الإغراب ، وتولع بالطلاسم والأحاجي ، ولا تفرق بين الرموز السحرية ، والألفاظ الشعرية ، فتأتي بما لا يفهمه الناس ولا يتذوقونه .. ولا يمكن أن يُنسب إلى الشعر في أية حال من الأحوال ؛ فتخنق العاطفة ، وتملأ شعرها بالصور المضطربة المتهالكة التي لا تستند إلى ركن من المعقول ..

وفئة لا تزال تعيش في القرن الرابع الهجري ؛ تحسب الشعر تقليد الشعراء القدامى ، والسير على مناهجهم ، وإحياء المديح والرثاء المتكلف ، وتظن الشعر كلمات محنطة ، وجملا مترامية ، وقوافيَ مسجونة لا يربطها نظام ، ولا تصل بينها وشائج قربى ، فترى الناس بالغث ، وتعرض عليهم معارض الألفاظ المحنطة التي لا تحمل رصيداً من عاطفة ، ولا خفقة من إحساس ، ولا ذرة من إدراك . .

ونحن الآن في عصر الذرة ، عصر النور والكهرباء ، عصر التيقظ والاندفاع إلى الأمام ، وكسر القيود ، وإدراك القيم السامية للحياة ، والتفكير العميق بالمثل العليا التي يجب أن تكون عليها الإنسانية لترفل في برد السعادة ، وتتمتع بثمار الطبيعة ، وتنعم بأفياء الجهاد ... نحن في عصر القومية ، عصر الاستقلال الذاتي ، فإذا رأينا فئة تلغز فلا نفهم شيئاً ، وأخرى تعبث ولا تصدر عن شيء ، فماذا يكون موقفنا منهما ؟

موقفنا منهما أن ننتصر لأمتنا الناهضة الباسلة ، ولقوميتنا النامية المتحفزة ، ولذاتيتنا التي تريد أن تستقل ، وتكوّن كياناً خاصاً بنا -- نحن أبناء العرب وبني العصر الحاضر . -- فإذا حددنا موقفنا رسمنا خطتنا بإزاء من يعتدي على قوميتنا ، ويلهو بنا ، ويتّمي إلى الحط من شعرنا العربي عن قصد أو عن غير قصد.

وديوان ( نار ونور ) يمثل الفئة الثانية تمثيلا صادقاً ! ويعبر عن العقلية المحدودة ، والنظرة الضيقة ، والعاطفة الميتة التي عُرف بها شعراء هذه الفئة . فلننظر في هذا الديوان :

الشعر -- كما أفهمه -- تجربة نفسية صادقة ، وتصوير دقيق لهذه التجربة .. فهو نتيجة لاستجابة عاطفية أو فكرية للمؤثرات الخارجية معروضة في تعبير لغوي دقيق .. فنحن نعيش في هذا العالم محاطين بأشياء كثيرة ، أحياء وجماداً .. والحياة التي تحقق بين جوانحنا تدفعنا إلى التأثر بهذه الأشياء إيجاباً أو سلباً . فما علينا إلا أن ننقل إحساسنا الصادق إلى القرطاس .

هذا هو الشعر في أبسط تعاريفه ذو ركنين من العاطفة والتعبير الصادق .

فماذا حقق لنا الأستاذ المجذوب من هذين الركنين ؟

في الديوان قصائد أملتها المناسبات ، وقصائد أُخر تعبر عن آراء الشاعر في الناس ، ونظرته إلى الحياة .

وأنا أمقت شعر المناسبات لأنه ( كالسُخرة ) الأدبية وكالتجارة التي يلتجأ فيها الشاعر إلى المراوغة والكذب ، وإلى الخداع والتضليل ، أضف إلى ذلك أن شعر المناسبات يقيد شخصية الشاعر التي يجب أن تظهر واضحة جلية طليقة في كل ما ينظم .. وشعر المناسبات يدفع الشاعر إلى إرضاء الجماهير ، وإرضاء الممدوح ، وتملق العواطف

وفي قصائد المناسبات من هذا الديوان تظهر نفسية الشاعر

المضطربة : يتكلف المعانى ويسرف فى التكلف حتى يخيل إلينا أنه يعبث عبث الصبيان ، وينشأ من غير عاطفة أحسها ، ومن غير شعور اختلج فى نفسه . .

وتلك هى النكبة الكبرى فى هذا الديوان . فالشاعر يعرف الشعر رصف كلمة جنب أخرى ، ووضع بيت تحت بيت ، فتراه يرثى رجلا ، ويمدح محسنا ، ويحتفل بمولد طفل ، وينظم برقية تعزية ! .. وهذا أعجب ما عرفت فى هذا الباب .

فلنفرض على القارئ الكريم شعر المناسبات هذا . . شعر المناسبات الذى دافع عنه الشاعر ولم يحسن الدفاع كما لم يحسن التطبيق . . ولتكن عندنا أناة وصبر لنعرف منزلة هذا الشاعر الكبير .. ولنقرأ مدحه لمعالى مظهر باشا رسلان الذى يقول فيه :

آية الفن أن يفيض على الظلم     سميراً وفى الجمال فنونا !
فأدرها صهباء فى عرس الحق     تردّ الوجود شعراً مبينا
المنى فى يديك قاصرة الطرْ     ف فتمتع بحسنهن (الجفونا) !
لفها النور فى وشاح من الخلـــ     ـد أراق الدجى عليه الشؤونا(؟)
وذرا فوقه الكواكب حمرا     ء عليها دم الضحايا سخينا !

أقرأت هذا العبث اللفظى الذى لا طائل وراءه ؟ . . أرأيت المنى ومتعت (جفونك) — لا أهدابك — ؟ . . أرأيت دم الضحايا (السخين) . . ثم اقرأ هذا المدح ، وافهم الصفة التى أطلقها الشاعر على ممدوحه :

يارسول السلام والرحمة الكبر     ى ورب الجحاجيح المنقذينا
ومنار الهداة للمدلج السا     رى وغيث السماء للمجدبينا

لو بيعت هذه الألقاب فى السوق فهل تعرف كم يكون ثمنها ؟

إننا نمقت شعر المناسبات لأنه يطلق الألقاب دون استحياء ولاخجل؛ فهذا رسول السلام ، وذاك رب الرحمة ، وآخر غوث السماء ، وربيع أمام الفضيلة والإحسان والجود ...

ولننتقل إلى الرثاء لنقرأ رثاءه لغازى حيث يقول :

اختنق يا لواء حزناً فإن الشـمس مخنوقة السنا فى الأعالى
اختنق إن فى اختناقك معنى     غصة الدمع فى صدور الرجال
اختنق فالمصاب بالبطل المر     موق (من شرفة النهى والخيال)
اختنق فالشآم سكرى وبغدا     د ثكول والقدس فى زلزال !!

ولم يختنق إلا القراء المساكين من هذه المبالغات الغريبة .

إن رثاء الأستاذ المجذوب يذكرنا بشعراء الفترة المظلمة ، حين قبروا الفضيلة ، وكسفوا الشمس ، وخربوا الدنيا ، ورثوا الحق والإنصاف والكرم والمثل العليا .. لماذا ؟ .. لأن صاحبهم مات .. الله يرحمه .. أما سائر شعر المناسبات فنتركه لن أصابه السهاد! ولنأت إلى أشعاره التى تضمنت آراءه فى الناس وفى الحياة .

والأستاذ المجذوب فى هذا الباب يحاول تقليد الصافى النجفى الشاعر الإنسانى الساخر . . وهيهات أن يبلغ ذلك ! . . لأن الصافى شاعر دقيق الملاحظة ، فياض الإحساس ، عاطفى المزاج ، إنسانى النزعة ، يفكر فينفذ إلى الأعماق ، ويصدر عن شخصيته القوية التى طبعت شعره بطابع خاص . تلك الشخصية التى كونتها حياة الصافى الخاصة ، وظروفه المحيطة به .

أما الأستاذ الشاعر فسخريته مصطنعة ، وآراؤه غير عميقة ؛ فإذا أراد أن يسخر استهزأ بالناس ، ولعن القدر والحياة .. كأن السخرية استهزاء بالناس وعبث بالأوضاع .

والهجوم على الناس أصبح (موضة) هذا العصر .. فإذا أراد رجل أن يرفع نفسه ، ويسمو متكبراً على حساب الآخرين ذم الناس والدنيا ، وكفر بكل شىء . . وإن دل هذا على شىء فإنما يدل على (مركب نقص) . . فالنفس الكبيرة تحترم النفوس وإن كانت صغيرة . وأنا لا أنكر أن فى الدنيا شراً كثيراً ، وأن أوضاع الناس قائمة على شىء من الظلم والقسوة . . ولكننى أود أن لا ننخدع بالمظاهر الكذابة ولا أريد أن نلهو بالفقاقيع .. بل أريد الشاعر يختص بالانفعالات النفسية ، وبالخلجات القلبية أريد الشعر يرتفع إلى أعلى لا ليتحدث عن الصدق والكذب ، وعن غرور الناس وضلالهم حديث الحكيم أو الواعظ .. بل أريده تصويراً صادقاً للواقع ، وعرضاً دقيقاً للحياة .

والأستاذ المجذوب ينظم باللغة المهلهلة ، ولا يفرق بين لغة الشعر ولغة الجرائد اليومية .. والوزن والقافية جنيا عليه جناية كبيرة . . وكثيراً ما يفلت من يديه الوزن فيضطرب . . أما الحشو فكثيراً ما يلجأ إليه الشاعر للمحافظة على الوزن . ومن أمثلة ( الزمان النائى ، والظلام البعيد ، والساحل النكود ) . .

والأخطاء اللغوية كثيرة أردت أن أحصيها فمللت . والخلاصة أنى تكلمت عن هذا الديوان لأعرض صورة من صور هذه الأزمة الشعرية فى أدبنا العربى . . ولا نستطيع أن نظفر فى الديوان كله بغير قصيدة واحدة ترتفع إلى منزلة الشعر ، وهى (رثاء مستنقع) والحق أنها من أبدع الشعر وأصدقه وأكثره عاطفة وشعوراً .

غائب طعمه فرمان